الآثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني في العراق ، دراسة تاريخية تحليلية ،من عام ١٩٥٨م الى ٢٠٠٣م

علي حسين محمود الطويل

كلية العلوم والمعارف جامعة المصطفى العالمية

الأستاذ المشرف: الدكتور فلاح المنصوري/ كلية العلوم والمعارف جامعة المصطفى العالمية

الأستاذ المساعد : الدكتور فاضل حسامي/ كلية العلوم والمعارف جامعة المصطفى العالمية

الخلاصة

وهذا العنوان هو لبحث أثر مراسم العزاء في الجوانب السياسيّة والفكريّة والثقافيّة في المجتمع العراقي ومقارنة ضمنية للفترتين من عام ١٩٥٨ م الى ٢٠٠٣م حيث لا يخفى على الباحث ما لمراسم العزاء الحسيني من تأثير كبير ومن جوانب متعددة، لا سيّما تلك الجوانب مضمون البحث، كما لا يخفى مستوى العداء الذي تمارسه السلطات الحاكمة في كل حقب التاريخ منذ استشهاد الامام الحسين (ع) وإلى عصرنا هذا، ، حيث مرت مراسم العزاء بفترات متفاوتة من الشدة والتضييق تارة، وتارة أُخرى بفترة من الرخاء النسبي؛ وذلك حسب نوع السلطة الحاكمة، وتناول البحث استعراض تاريخي سريع لعهود تاريخية مختلفة مرت بها مراسم العزاء الحسيني حتّى تاريخنا المعاصر، وكانت أسوأ فترة مرت بها مراسم العزاء الحسيني في العراق هي فترة الحكم البعثي، حيث تخلّلها أنواع من الظلم والتقييد والقتل والتشريد. لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في قسوتها وبطشها، والمستخلص من كل ذلك إنّ مراسم العزاء الحسيني لها أثر فعّال في كلّ الأحوال والظروف شدةً ورخاءً، وخاصّة في الجوانب السياسيّة والفكريّة والثقافيّة، كما إنّها تتأثر سلباً وإيجاباً بطبيعة السلطة الحاكمة وتوجهاتها السياسيّة والفكريّة والثقافيّة، ولكنّها في كلّ الأحوال تقاوم لبث ونشر رسالتها وأهدافها، وتترك آثارها مرّة بشكل محدود، وأُخرى آثار كبيرة وواسعة، حيث ساد نوع من الحرّيّة والتكييف القانوني لممارسة هذه الحرّيّة استثمرها القائمون على مراسم العزاء بشكل كبير، حتّى بانت آثارها واضحة، ثمّ طرحنا ما هي الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة قبيل ٢٠٠٣ ، وبيّنا مناهج البحث التي اتبعت وهي، المنهج التاريخي والتحليلي، ثمّ الرجوع إلى المصادر المعتبرة وتصنيف الأحداث فيها موضوعيّاً وتحليلها بغية التوصل على معالجة للتصوّر موضع الدراسة .

المقدمة

الحمد لله الذي هو المنان الاول والمعين الاعظم. الله لا اله الا هو سبحانه، الذي وهب لنا العقل واللسان والبصر، والذي وفقني ومكنني حتى انجز هذا العمل المتواضع الذي منتهى أملي فيه ان ينال رضاكم وتقديركم، ثم أصلي وأسلم على خير البرية البشير النذير والسراج المنير محمد رسول الله وخاتم انبياءه وعلى اهل بيته الهداة المهديين واصحابه الغر المنتجبين ومن سار على نهجهم الى يوم الدين، ومن خلال اطلاعي على بعض انظمة القانون والدساتير لجمهورية العراق استشعرت انه من الضروري التعرف والبحث في احد قوانينها، هنا وقفت متأملا وشغلت بالي قضية الآثار السياسيّة لمراسم العزاء الحسيني، والبحث في هذا القضية الروحية وهذه التجربة والمراسم والطلاع على كل تفاصيلها. ومن هذا المنطلق اخترت عنوان بحثي ان يكون الآثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني، دراسة تاريخية من عام ١٩٥٨ الى ٢٠٠٣ وذلك للوقوف على اهم المكتسبات في المجتمع العراقي، من خلال مناقشة الاثار الايجابية والسلبية وايجاد الحلول العملية لها وذلك من خلال التوصيات الى اصحاب القرار. على ان نكون قد اسهمنا في تقويم وطرح ولو جزء بسيط من هذه الفكرة التي لا طالما قلت بل واندثرت الدراسات والخوض فيها بسبب التوجهات السياسية والمصالح السلطوية في مختلف العصور ولتكون معلومة وبحث مخصص لمعالجة مشكلة معينة تنفع باقي الاجيال وفي الختام لا يسعني الا ان اقدم الشكر والثناء الى اساتذتي الذين نهلت من بحر علمهم الكثير اساتذة قسم التاريخ الذين منحوني الفرصة لأكمل هذا لبحث مستندا على ارشادهم وتوجيههم وعملهم وتواضعهم أملاً ان اكون قد وفقت في هذه الدراسة كي أرد ولو جزء من جميلهم.

1-بيان المسالة

تشكّل مراسم العزاء الحسيني ظاهرة فريدة من نوعها من الظواهر الطقوسية التي تمارس في كلّ أنحاء الأرض، وعلى طول التاريخ الذي مرت به هذه الظاهرة حيّرت العلماء والباحثين في كلّ عصر من عصورها، وذلك لما تحتويه هذه الظاهرة من دروس حضارية وتربوية في الأخلاق والقيم الأصيلة، وما ترفد به المجتمع من نتاجات سياسية وفكرية وثقافية وبشكل يتجدّد في كلّ عام. كما أنّها تشكّل أكبر تظاهرة إسلامية للتعبير عن البراءة من الظالمين، فالاتجاه نحو الإمام الحسين (ع) وإقامة العزاء له ولأهل بيته، يمثل اتجاها صريحاً لرفض الظلم والظالمين والمستكبرين ويعبر عن الانتماء الحقيقي للتوحيد باعتبار إنّ الإمامة هي ركن أساسي من أركان التوحيد وامتداداً له، إذ لا يكتمل التوحيد بدونه، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى عدم طاعة الإمام هي معصية لله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأمر مِنكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وقد كانت ثورة الإمام الحسين (ع) ثورة إصلاح لم يبتغِ منها أي مطمعٍ سياسي أو نفع مادي إنّما كان يهدف إلى سلامة الناس من الناحية العقدية والسلوكية،

وتحقيق المصلحة الاجتماعيّة للأمة؛ وذلك من خلال توفير العدالة السياسيّة والاجتماعيّة وإشاعتها في الأُمّة، وقد أعلن عن هذه الأهداف المشرقة في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية إذ يقول فيها: «وإنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي'، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن ابي طالب (ع ونظراً للأهداف النبيلة والبواعث الصادقة لثورة الإمام الحسين (ع) وقضيته الإنسانية ذات الأبعاد السامية أقام المسلمون العزاء في عصر عاشوراء، وقد رسخها الأئمة؛ لأن فيها حفظ الدين والقيم السامية، وبشهادة الإمام الحسين (ع). ومنذ ذلك الوقت في عام ٦١ صار المسلمون أصحاب عزاء ومصيبة، فبكوا وانشدوا المراثي والأشعار، حيث يستذكر المسلمون الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه الذين قضوا عطشى إلى جنب الفرات بأرض كربلاء، ونكّل بهم بشكل فظيع مفجع لم يسبق له مثيل ولا نظير من قبل، منذ ذلك العام تحولت مراسم العزاء والمجالس التي تقام بهذه المناسبة مصحوبة بالحزن والجزع إلى مدرسة عامّة مستمرة على امتداد الزمن، وكانت مصدر إلهام للكثيرين، واستمرت هذه المجالس وستبقى وتستمر؛ لأنّ أقل ما تطلبه هو محبة آل النبي' وأداء حقوقهم، وينطبق ذلك على ما يجري اليوم من إقامة مراسم الحزن والعزاء، بكلّ ما يتخللها من لطم ومسيرات ورفع للرايات وتأليف الكتب وإقامة المسرحيات ونشر عبارات التوعية، ونحو ذلك مما جرت عليه العادة منذ قرون عديدة وأيدها كبار العلماء .وقد مرت مراسم العزاء الحسيني بأدوار مختلفة ومراحل عديدة، أثرت في ازدهارها وانكماشها . في الغالب الأعم . طبيعة السلطة القائمة ونوعية الحكم، وقد مرت مراسم العزاء، وخاصّة في التاريخ المعاصر للعراق، بمراحل كادت أن تقضي عليها، لولا إصرار الناس على التمسك بها باعتبارها إحدى الطقوس العبادية، فمثلاً اقيمت مراسيم العزاء في السراديب في عهد المماليك نتيجة منعها من أن تقام علناً، ثمّ جاء عصر العثمانيين وكان داود باشا من أشد الولاة تضييقاً على الشعائر الحسينيّة وكان للحوادث السياسيّة دوراً فاعلاً وبالغ الاثر سلبياً وإيجابياً في تطوّر أو انكماش مراسم العزاء الحسيني وخاصّة بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة، فقد أثر النَفَس الطائفي للحكام بشكل مباشر على مراسم العزاء وطمس آثارها المختلفة في المجتمع نتيجة التضييق عليها، ولكنها رغم التضييق فلم تختفي آثارها نهائياً وبقيت ولو بشكل محدود أو بالحد المسموح بإقامتها.فقد أسس الإنجليز لنظام بعد ثورة العشرين . نظاماً متشبع بالروح الطائفية . أبعدت الطيف الشيعي واقصته عن جميع المناصب الحكومية والسياسيّة، وقد لخصها حسن العلوي في كتابه (الشيعة والدولة القومية): «وقد كانت هذه العملية بشكل مخالف للقيم الإنسانية؛ انتقاماً منهم لقيامهم بالثورة ضد الإنجليز، وقد تأسّس على ذلك بداية التضييق على طقوس الشيعة وممارساتهم العزائية وبعد تسلم البعث السلطة مرت الشعائر الحسينيّة بأسواء الفترات ظلماً وتضييقاً، فلم يسمح ببناء المساجد والحسينيات لمدة ٣٠ عاماً، وخاصّة بعد حرب الخليج الأولى والثانية كما أنّ المراقد المقدّسة ضربت بالصواريخ، وتم تهديم ٩٠٪ من المدارس الدينيّة والمواكب التي بناها الشيعة في كربلاء والنجف الأشرف، مما أثر بشكل مباشر على تطوّر مراسم العزاء الحسيني، إلى أن تم اسقاط حكومة البعث فتولت زمر التكفير عملية قمع مراسم العزاء، وتفجير المواكب الحسينيّة، وقتل أفرادها، ومن خلال ذلك يتضح أنّ أغلب الفترات التي مرت بها مراسم العزاء الحسيني قبل عام ٢٠٠٣م هي فترات كانت يغلب عليها التضييق والمنع، ومن ذلك يبدو واضحاً أنّ جميع آثار مراسم العزاء الحسيني تتأثر بشكل مباشر بالوضع السياسي وطبيعة السلطة القائمة، وتتوسع وتنتشر وتتطوّر وتبرز آثارها المختلفة تبعا لذلك أيضاً.

٢- أهمية الدراسة واهدافها

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول موضوع

تكمن أهميّة البحث في النقاط التالية :

١-استكشاف الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لمراسم العزاء الحسيني قبيل ٢٠٠٣.

٣-توسعة البحث في أهم العوامل والوسائل التي توثر سلباً وإيجاباً في اضمحلال الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لمراسم العزاء الحسيني، أو تطوّرها وتوسعها وانتشاره

اما أهداف البحث

١ -بحث الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لمراسم العزاء الحسيني قبيل ٢٠٠٣

٢ -استكشاف أهم العوامل التي أثرت سلباً أو إيجاباً في تطوّر الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لمراسم العزاء الحسيني، وانتشارها وتطوّرها.

٣ –توسعة الدراسات التي تعني بتطوّر مراسم العزاء وآثارها السياسيّة في العراق

٤-الدراسات السابقة

في بحثي لموضوع، الآثار السياسية والفكرية والثقافية لمراسم العزاء الحسيني، دراسة تاريخية قبيل ٢٠٠٣ واجهت صعوبات كون ان الدراسات السابقة التي تطرقت الى ذلك الموضوع كانت تتطرق بشكل عام الاثار العامة لمراسم العزاء الحسيني لا الى القضايا الفعلية والمطبقة فقط على ارض الواقع غير مبالية بالعوامل والمؤثرة في اختيار ومدى صلاحية تلك الاثار مع المجتمع والقيم الاسلامية وهناك صعوبة ايجاد المصادر فجميع الدراسات السابقة كانت تعاني من عدم الخوض في التفصيلات لذا اقتضى البحث في المكتبات القانونية والسياسية في البلد وحتى السفر الى اغلب المحافظات والمكتبات العامة. والخاصة المتعلقة بموضوع بحثي وتدفعنا الامانة العلمية الى ان هناك دراسات سابقة لها علاقة بموضوع لكن في هذا البحث سنخوض ونتطرق الى جميع التفاصيل التي تمت لمراسم العزاء الحسيني وكان هناك عدد من الدراسات السابقة التي تناولت قضية بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر: وبعد البحث والتقصي في المصادر لم نعثر على دراسة شاملة بحثت نفس الجوانب التي تناولها موضوع بحثنا، وأما الدراسات السابقة والتي تناولت جوانب معينة من البحث أحياناً كانت على شكل بحوث اختصت في جانب واحد من جوانب الدراسة كالجانب السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الفكري وبشكل مختصر، كما توجد دراسات بحثت في أجزاء من فصول هذا البحث، ولا توجد دراسة شاملة لكل فصول هذا البحث. لذلك سنتناول بعض هذه الدراسات التي عثرنا عليها وتناولت بعض الجوانب التي تم بحثها في موضوع هذه الاطروحة .الكتاب الأول: الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية، للكاتب روبير بندكتي، كانت ساحة البحث في الكتاب هي لبنان ولم يتطرق إلى العراق إلاّ في مسائل محدودة. لم يتناول الكتاب النقاط التالية :

١– لم يتطرق إلى الآثار السياسيّة لمراسم العزاء الحسيني في العراق قبيل عام ٢٠٠٣م.

٢– ولم يتطرق الى الاثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني في انتفاضات صفر ١٩٧٧ والانتفاضة الشعبانية ١٩٩١

الكتاب الثاني: ثيولوجيا التشيّع السياسي بين الحقّ الإلهي والدولة، للسيّد جواد شبر، وهو كتاب يتناول فيه بعض الظواهر الدينيّة بالنقد ويقدم المقترحات البديلة لبعضها، كما إنّه تناول علاقة الدين بالسياسة والفكر في العراق ولبنان وإيران، باعتبار إنّه يتناول موضوع تتركز مساحته في البلاد الإسلاميّة والعربية، ولم يتطرق بشكل مركز للموضوعات التي تناولناها في اطروحتنا في الجانب الفكري والسياسي أو بالأحرى لم يتطرق إلى آثار مراسم العزاء حتّى في الحقب التاريخية التي تناولها .

الكتاب الثالث: تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، للباحث إبراهيم الحيدري، وهي دراسة اجتماعية لما يتعلق بالخطاب الشيعي، والظواهر الدينيّة وعلاقتها بالاجتماع، وتطرق الباحث إلى مراسم العزاء الحسيني وعلاقة المجتمع العراقي بهذه المراسم، وقدم لها تعريفات مختلفة، ومنها مجالس التعزية الحسينيّة، وعاشوراء، ويوم الأربعين، ورغم إنّ الكاتب لم يتناول في كتابه آثار هذه المراسم في جوانبها السياسيّة بشكل مفصل، ولكنه تطرق الى آثارها في الجانب الاجتماعي بشكل موسع.

الكتاب الرابع: شيعة العراق، للباحث اسحاق نقاش، وهو كتاب تاريخي يركز على شيعة العراق منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتّى سقوط الملكية، وبالرغم من أن الدراسة تنتهي في ١٩٥٨م، إلى ان الكاتب تطرق كذلك إلى مجريات الأحداث في الثمانينات كذلك، ارتكزت الدراسة على كيفية تكوّن المجتمع الشيعي في العراق، وأثر الدولة الحديثة على الطبقات الشيعية، وعلى الموقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وبحث في الاختلافات الأساسية في الاعتقادات الثقافيّة والقيم الاجتماعيّة بشكل مقارنة بين الشعبين الإيراني والعراقي، وبالعموم لم يتناول هذا الكتاب :

١ –تأثير مراسم العزاء، وتأثير المرجعية الدينيّة، أو الزيارات في الواقع العراقي ضمن مدة البحث.

٢–رغم تطرق البحث إلى الجوانب السياسيّة في الفترة الزمنية للبحث إلّا أنّه لم يتطرّق إلى آثارها على الواقع العراقي ولو في مدة البحث إلّا بشكل موجز وقليل جدّاً.

الكتاب الخامس: زيارة الأربعين دلالات وآفاق، (خطوات في التنمية البشرية والتخطيط الاستراتيجي لحقول الزيارة)، للباحث محمد عبد رضا، وهذا الكتاب لم يتناول مراسم العزاء الحسيني بصورة مجملة، وإنّما تناول جزئية واحدة وهي زيارة الأربعين، وقد ذكر في مقدمة الطبعة إنّ زيارة الأربعين تكتنز ثروات تنموية اجتماعية ونفسية وحضارية وعبادية، إضافة إلى ما تطرق إليه في متن الكتاب من الجوانب السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لزيارة الأربعين وتأثير الزيارة في تنمية هذه الجوانب .

إلّا أنّ الكتاب لم يتناول ما يلي:

١–لا يوجد في الكتاب تفصيل عن تأثير الزيارة في الجوانب السياسيّة

٢–لم يؤرخ الكتاب لحوادث تاريخية أو حقب زمنية تتناول تأثير زيارة الأربعين، وإنّما هناك إشارات متناثرة في صفحات من الكتاب لحوادث معينة تطلب الإشارة إليها سياق البحث

٣–لم يتطرق الكتاب إلى أسباب الضعف ولا أسباب القوّة في تأثير زيارة الأربعين في المجتمع العراقي في كلّ الفترات الزمنية، وإنّما أشار إلى تأثيراًتها في العامّة فقط.

٤– في العموم الكتاب هو بحث في كيفية كون زيارة الأربعين مشروع تنمية بشرية، كما أشار الكاتب في العنوان، وليس خاصاً في تأثير زيارة الأربعين بالجوانب السياسيّة والفكريّة والثقافيّة.

٦–أسئلة البحث

الأسئلة التي تهتم بها الدراسة

السؤال الرئيسي :

١. ما هي الآثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني، دراسة تاريخية من عام ١٩٥٨م الى ٢٠٠٣م

الأسئلة الفرعية :

١– ما هي الآثار السياسيّة في ظل الدولة العراقية بعد العهد الجمهوري حتّى نهاية حكم البعث؟

٢– ماهي الاثار السياسية لانتفاضات الشعب العراق ضد حكم البعث ١٩٧٧ و١٩٩١

٣ ما هي أبرز العوامل الأساسية التي ساهمت سلباً وإيجاباً في تطوّر وانتشار وتوسع الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لمراسم العزاء الحسيني لما قبيل ٢٠٠٣ م

٦–فرضيات البحث

١–كانت مراسم العزاء في عهد الجمهورية الأول من ١٩٥٨–١٩٦٨ قد تعامل معها السلطات بشكل مرن الا في سنين قليلة منها.

٢–اختلف الموقف من مراسم العزاء من قبل السلطات الحاكمة بشكل جذري في فترة مابعد انقلاب تموز ١٩٦٨–٢٠٠٣ حيث مارست السلطة الحاكمة اقسى أنواع التضييق والقسوة مع مراسم العزاء الحسيني

٣–كان اثر مراسم العزاء واضحا في الانتفاضات الشعبية التي حدثت بعد حكم البعث ١٩٦٨–٢٠٠٣

٧– منهجية البحث

في هذه الدراسة اعتمدنا منهج (دراسة تحليلية ،والمنهج التاريخي) يقوم على دراسة الاثار الفعلية حول هذا الموضوع بين الانظمة السابقة التي اصبحت في اعلى مستوياتها على مر العصور

١– البحث وصفي تحليلي، بالرجوع إلى المصادر الأصلية وتصنيف المعلومات التي تحتويها موضوعياً وتاريخياً وتحليلها بغية التوصل إلى معالجة التصور في موضوع البحث مع الأخذ بكلّ مصدر جديد .

٢– المنهج التاريخي، عبر الحصول على المعلومات التي دوّنت في الفترات السابقة، وتنقيحها ونقدها إن كان ذلك مطلوباً.

النتائج

ومن أهم أهم النتائج التي توصل إليها الباحث إنّ لمراسم العزاء الحسيني في العراق آثار كبيرة في الجوانب السياسيّة والفكريّة والثقافيّة مهما اختلفت طبيعة السلطة الحاكمة، ولكنّها تتناقص وتتسع بحسب طبيعة هذه السلطة كذلك، كما اثبتت الدراسة إنّ مراسم العزاء الحسيني تتعاظم آثارها عندما تجد فرصة من الحرّيّة في ممارستها، عادةً ما تُرافق القارئ شحنة من عدم الثقة بالمعلومة التاريخية التي تتناول تاريخ العراق السياسي الحديث ، ربما يبدو ذلك صفة عامة، لكنها رافقتني مع أي كتاب تناول هذه الفترة الحرجة ؛حيث يتميّز الموقف السياسي في الإسلام بارتكازه على ثوابت مبدئية وقيم أخلاقية تمثل أُطر مرجعية في سلك التعامل مع العلاقات الخارجية، أو مع الآخر بصورته المطلقة، خلافاً للرؤى السياسيّة السائدة عند جميع الاتجاهات الفكريّة في العالم، حيث لا توجد أيّة مرتكزات سوى إدراك المصلحة الذاتية والتلون وفق مستلزماتها؛ ولذلك عرّفوا السياسة إنّها فن الممكن ويقصدون بذلك انتفاء فكرة الصداقة الثابتة والعداء الثابت، لقد ترجمت زيارة وارث ثقافة الشعائر الحسينيّة، وهي رؤية أيديولوجية ثابتة حول مفهوم التبني والصراع والائتلاف والعراك والسلام والحرب والحياد «لعن الله أُمّة قتلتك، ولعن الله أُمّة ظلمتك، ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به من خلال قراءة الماضي في ضوء الحاضر وفهم الحاضر كعناصر وارثة لخطوط الماضي بخيرها وشرها، وفي الواقع إنّ مراسم العزاء الحسيني، وخاصّة الزيارة، تعمل على تنشيط مفاعيل الإرادة السياسيّة داخل الشخصيّة الإسلاميّة في قبال الجهود القمعية المكثفة المبذولة من جانب السلطات ومنذ وقت بعيد؛ لذلك فإنّ كلّ سلطة مستبدة تبتكر أفدح الوسائل الإرهابية من أجل وأد صوت الحرّيّة والإرادة الإنسانية؛ لأنّها تدرك إنّ الشعوب عندما تمتلك الإرادة السياسيّة وتتسلح بها في الحياة العملية فإنّ مصيرها هو الزوال؛ لذلك فقد عكف أهل البيت (ع) على صياغة نصوص الأدعية التي تقرأ في الزيارات والمناسبات، ومرّروا فيها الكثير من المفاهيم المعرفية والعقيدية والحركية، وأهمها مفهوم (الإرادة السياسيّة) فهي تهدف إلى تأكيد العلاقة الولائية بين تلك الشخصيات المزارة، واستذكار مواقفهم ومقاصدهم النبيلة من أجل الإسلام والمسلمين إنّ مراسم العزاء الحسيني، وخاصّة الزيارة والشعائر الأُخرى، وقفت بحزم وصرامة في وجه السلطات المتعاقبة على منهجية القهر السياسي، حيث توفرت على خطاب تعبوي يجيد تفعيل مفرداته الثورية بين أبناء الأُمّة وتحسيسهم بقضايا الشأن العام، كما لو أنّها قضاياهم الخاصّة ومشكلاتهم الضرورية في الحياة، وكما للنصوص تأثيرها الكبير في خلق المفاعيل للإرادة السياسيّة، فإنّ هناك جوانب أُخرى تفعل فعلها في هذا الجانب، مثل استعراضات العدد في مراسم العزاء، التي تظهر قوة من يقومون بهذه الممارسة، والقيمة العددية التي تحولت إلى استعراضات للعزّة والعدل والحرية واستعراض يفصح عن الحالة الثورية والفدائية لعشاق سيّد الشهداء (ع) بنحو سلمي لا أثر فيه للعنف والكراهية والتحريض، كما إنّ مراسم العزاء الحسيني تقدم عرضاً أخلاقياً تكاد تتفرد به عن كافة المدارس والاتجاهات الفكريّة في تاريخ الإنسانية، ولكل تلك العناصر الهامّة التي تتميز بها مراسم العزاء، وبالخصوص الزيارة الحسينيّة فإنّ رؤوس أهل الأرض وحكام الجور، تحاول التعتيم الإعلامي عليها، وهناك تعمّد مقصود في تغييبها وعدم بروزها لأجل عدم بروز عقيدة من يقومون بها خشية أن يتأثر بها الرأي العام وبالتالي تكون بديلاً لما يقدّمونّه من عقائد منحرفة وموضات وسلوكيات تسعى لطمس الأخلاق العامّة وتشويهها والهدف منها لأجل فرض هيمنتها على الشعوب ولكن مع كلّ هذا التشديد والتعتيم فقد ارتفع وعلا هذا الصوت كما قالت الحوراء زينب ع وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء (ع) لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور اللّيالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوّه وتطميسه فلا يزداد إلّا ظهوراً وأمره إلّا علّوا

إنّ الظلم وعاشوراء يقفان على طرفي نقيض فلا يجتمعان أبداً؛ لذلك أدرك الطواغيت أنّ القضاء على الفكر الثوري يمر عبر محاربة الشعائر الحسينيّة أو تحجيمها، وقد بينت السيدة زينب' النهاية المحتومة لكلا الفريقين على طول المسيرة، أمّا سيّد الشهداء فقد أصبح قبره علماً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فقد أدرك الطواغيت والمستبدون والظلمة الأبعاد التاريخية للمقولات الشهيرة «هيهات منّا الذلّة» و«كلّ أرض كربلاء، وكلّ أرض عاشوراء» فاجتهدوا في محوها وطمسها من المخيلة الشعبية، بعد إدراج جملة من الأحاديث المكذوبة فيها لتمييعها من جهة والتعمية عليها من جهة أخرى، إنّه صراع أبدي بين الحقّ والباطل بين الإسلام والكفر، فمراسم العزاء العاشورائية صوتاً وصوطاً يدركها المؤمنون، ويدركها المستبدون لكنّ لكلّ على طريقته، فالمؤمنون فهموها على إنّها تكليفهم ازاءها هو وعي التزييف، بينما فهمها المستبدون على إنّها تزييف للوعي، فقيم الخير مرتبطة دائماً بالأنبياء والأولياء والصلحاء، وفي المقابل نرى قيم الشرّ والفساد والتمرّد تتمثّل من خلال الشيطان واتباعه

ولذلك فالشعائر الحسينيّة لها دور مزدوج فهي:

أوّلاً: وسائل للتعبير عن انشداد الجمهور إلى عاشوراء وارتباطهم العاطفي بهذا الحدث المهمّ، والذي يعتبر من أهمّ أحداث التاريخ .

وثانياً: دور فاعل في إذكاء جذوة الثورة والتحريك لذكرى اليوم الحساس في تاريخ المسلمين فهي إضافة لدور التعبير عن عواطف الجمهور لها دور في تفعيل الحالة الثورية والحركية في بُعدها السياسي المتمثّل بيوم عاشوراء الاثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني من عام ١٩٥٨م الى ٢٠٠٣م في التاريخ مصارع كثيرة . . و فجائع مثيرة يذهل الفكر أمامها حائراً . . و لكن فاجعة « كربلاء » قد أجمع المؤرخون بأنها من أشد الفجائع أثراً في النفوس . . . و أقسى المصارع وقعاً على القلوب . . ذلك لما وقع على ساحة الطف في كربلاء بالعراق من مجزرة بآل النبي و أصحابهم يوم العاشر من محرم سنة إحدى و ستين للهجرة الموافق لسنة ٨٥ ميلادية . حيث حوصر فيها الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو و آله و فتية من بني هاشم و جملة من أصحابه من أهل العراق و الحجاز . لذلك حين يحل هذا التاريخ من كل عام . . و يهل هلال محرم الحرام يستعد المسلمون في معظم أنحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية و خاصة في يوم العاشر من محرم . . المعروف بيوم « عاشوراء » حيث يحتفل المسلمون فيه بهذه المناسبة الأليمة متذكرين مصارع آل النبي في كربلاء في حزن عميق و شجن عظيم . . يستعرضون مواقف الإمام الحسين و من استشهد معه بما يناسبها من الإشادة و التكريم . . . و منهم من يبالغ في إظهار شعائر الحزن و الأسى حسبما يتصوره و يرتاح إليه حسب تأثره و معتقده اتجاه هذه الفاجعة الدامية . . التي أثرت في العالم الإسلامي تأثيراً بالغاً ما ظل ملازماً له منذ ذلك الحين أي قبل ألف و قرون الى يومنا هذا . . إلى ما شاء الله من أيام الدهر. و قد يتصور البعض أنّ هذه الشعائر و المظاهر التي تقام في العشرة الأولى من محرم الحرام من كل عام من قبل المسلمين في مختلف أنحاء الأرض و بمختلف أشكالها إنّما هي من محدثات العصور الأخيرة في حين أنّ هذا التعبير عن شعور التأثر و التألم تجاه مصرع الإمام الحسين ع . . إنّما يرقى تاريخه إلى عهد قديم في الإسلام أو هو قريب العهد من الصحابة و التابعين لهم بإحسان . . غير أنّه كان في أول أمره محدوداً جداً و صغير الحجم يقام بمحضر أخص الناس بالحسين كالأعلام من ذريته . . للتسلية و المؤاساة . . و للتخفيف عن لوعة المصيبة .وتختلف تلك الشعائر من مكان الى اخر ومن زمان الى اخر وهنا نناقش الاثر التاريخي لمراسم العزاء الحسيني من عام ١٩٥٨م الى ٢٠٠٣م و قد مرت الطقوس العاشورائية وأداء المراسم وإقامة المآتم بتغييرات وأخذت أنماطها تتطور من ناحية الشكل والقالب، على مدى القرون وعلى مستوى الأوساط الشيعية. ويمكن متابعة بعضها حتى عصر أئمة الشيعة.

١–اللطمية: هي أبرز أنماط العزاء لدى الشيعة ومنتشرة في مختلف المناطق والبلدان خلال أيام المحرم وصفر. ولا يختص بمكان دون آخر، فيمارس في كافة المآتم سواء أقيمت في المساجد، أو الحسينيات أو التكايا أو في البيوت. ويبدو بأنّ اللطم (على الصدور) –إضافة إلى أنه مظهر من مظاهر الحزن– يُعبّر أيضاً عن مواساة، يشعر فيها اللاطم بشيء من الآلام التي تحملها الإمام الحسين عليه السلام.[١١٠]

٢–النعي: قراءة القصائد والأبيات الشعرية، حول استشهاد الحسين (ص)، وأصحابه. كان شائعا في الأدوار التاريخية بين الشيعة. وفيه يتم توصيف أحداث عاشوراء مقترناً بالحزن والأسى، كما يطلق على الناعي عنوان رُوزةْ خوُن (بسكون التاء المربوطة) أيضاً.

٣–التشابيه: يتم فيها محاكاة شخصيات كربلاء ووقائعها كما حدثت، وغالباً ما تُعرَض على شكل مشهد تمثيلي أو مسرح مأتمي. وتقام التشابيه بصور متنوعة في المناطق الشيعية من إيران والهند وباكستان ولبنان وتركيا وغيرها.

٤–المواكب: موكب العزاء، فيها يجتمع المشاركون في العزاء ويسيرون على نمط خاص وبرسوم وآداب معينة. يرافق هذا الطقس اللطمية أو ضرب السلاسل على الظهور وحمل الأعلام أو الرايات أو المشاعل أو غيرها من الرموز.

٥–الضرب بالسلاسل: مجموعة من سلاسل حديدية صغيرة، مربوطة بمقبض خشبي أو حديدي ويضرب بها على الظهر والكتفين ويمارس عادتاً من خلال المشاركة في الموكب.

٦–التطبير: نوع من مراسيم العزاء يتم خلاله ضرب الرؤوس بالسيوف وإدمائها، وقد تقام غالبا في صبيحة اليوم العاشر من محرم الحرام يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومن ثم يبدأ المتطبرون بضرب رؤوسهم بنوع من أنواع السيف الذي درجت العادة على تسميته بالقامة، ويكون ذلك في موكب (سيراً)، ويصرخ المطبّرون عند شجّ رؤوسهم على طول الطريق حيدر...حيدر...

٧-النعش: الذي يحمل على أكتاف المشاركين في موكب العزاء. يقوم المعزون بحمل هذا النعش الرمزي للحسين ولبعض أئمتهم الآخرين. وقد يمارَس هذا الطقس في مناطق من بلاد إيران والعراق والهند ..

٨-ليلة الدفن: أو ليلة الوحشة، التي تقام في عاشوراء ليلا، لاستحضار المصائب والشجون التي مرت على قافلة السبايا من أهل بيت سيد الشهداء (ع) الناجين من المعركة، ويقوم فيها جمع من الأطفال والنساء بإشعال الشموع

٩- مسيرة الأربعين: مسيرة حاشدة تنطلق خلالها جماهير الشيعة باتجاه كربلاء لزيارة الإمام الحسين (ع) في العشرين من صفر من كل عام، وذلك لمرور أربعين يوماً من استشهاده وهي تقليد سنوي يتبعه الزائرين للتعبير عن مواساتهم لآل بيت النبوة والرسالة وهي ليست مسيرة فحسب ولكن من خلال الطقوس التي تتخللها ،فإنها اشبه بمسيرة ثقافية اجتماعية سياسية ،يتضح ذلك من خلال تقديم الخدمة من قبل المواكب الحسينية ،ومن خلال قصائد الشعراء والمنشدين ،ومن خلال المعارض التي تقام على طول هذه المسيرة الراجلة واثنائها

أولا: الاثار السياسية والفكرية والسياسية لمراسم العزاء الحسيني من ١٩٥٨-١٩٦٨

بعد ان ثبت ا ن المجتمع العراقي فد تمسك بمراسم العزاء الحسيني وتأثرهم بها، وثبت تأثيرها عليهم سياسياً في بعث روح المقاومة والتصدي للظلم، فلم تستطع السلطات في ذلك الوقت ايقافها أو منعها، حيث استطاعت مضايقتها سياسيا وإعلامياً وعملياً، ولكنها بقيت واستمرت طول فترة الحكم الملكي، أمّا في العهد الجمهوري ومع بداية تغيير الحكم الملكي إلى الجمهوري، فإنّ زعيم الثورة قد شجّع المواكب الحسينيّة وتقرّب إلى العلماء، وقد سمح بنقل قراءة المقتل الحسيني من الصحن الشريف والذي كان يقرأه المرحوم عبد الزهراء الكعبي، وفي عهد الجمهورية الفتية حدث هناك تطوّر نوعي في النظرة لمراسم العزاء الحسيني وقدسيتها، وكذلك أبدت الحكومة حينها احتراماً للحوزات العلميّة والمرجعيات الدينيّة، فكان للمرجعية حينها دوراً كبيراً في القضايا السياسيّة والاجتماعيّة وازدهرت الحوزة العلميّة نتيجة فسحة الحرّيّة التي شهدتها تلك الفترة، فأصبحت مرجعية الإمام الحكيم مرجعية أبويّة لكلّ المظلومين، حيث كان يمثّل المرجعية الشيعية العليا في العالم الإسلامي، وبذلك كان محوراً للأبوّة الشاملة لأبناء الوطن وملجأ تخشاه السلطات وتخشى مواقفه؛ وبذلك كانت له مواقف واضحة في الدفاع عن الجماعات في العراق وفي الوسط السنّي أيضاً ويبدو أن هذا الجو والفسحة من الحرّيّة لم يرق لعداء التشيّع من البعثيين والطائفيين، فأرادوا السيطرة على السلطة لإقصاء عبد الكريم قاسم الذي كان له الدور الكبير في منح هذه الحرّيّة لمراسم العزاء الحسيني في الاستمرار والانتشار وللحوزات العلمية، وكذلك في تطوّر مراسم العزاء وازدهارها، فكان القوميون بزعامّة عبد السلام عارف الذي اشتهر بطائفيته الواضحة يكنوّن العداء للزعيم عبد الكريم قاسم نتيجة تقرّبه من العلماء، ولهوسهم بالسلطة، وكان لمواكب العزاء الحسيني كلمتها في هذا النزاع إذ وقفت الغالبية العظمى منها مع حكومة عبد الكريم ضد المناهضين له، فكانت شعارات المواكب في سنة ١٩٥٩ أي السنة التي برز فيها خلاف القوميين مع عبد الكريم، كانت مؤيدة للزعيم وتوجهاته)فقد هوس المناهضون لعبد الكريم قاسم بطروحات القوميّة والوحدويّة، وفي الحقيقة هي غير وحدويّة ولا قومية وإنّما شعارات هدفها إيهام الرأي العام للسيطرة على السلطة وتنفيذ البرنامج الذي يدور في مخيلة الإنقلابيين لا غير، فقد كانت الصبغة الطائفية واضحة على أفعالهم، فقد أُعدم وطنيون على ضوء هويتهم الطائفية، وجرى التستر على آخرين تحت تأثير العامل الطائفي أيضاً فقد بدأ بظرف أكثر شراسة في التمذهب للدولة القومية، فقد قام عبد السلام عارف بالتضييق على مراسم العزاء شيئاً فشيئاً وبقسوة، وإقصاء الشيعة من جميع المناصب التي يشغلونها في الجناح العسكري المؤيد له، وبذلك حلّت مرحلة جديدة انتقل فيها العمل إلى طور جديد من تطيّف الدولة أو طائفيتها، حيث انتقل ضد الغالبية الشيعية من السرية والتكتم إلى الإعلان الصارخ على يد عبد السلام عارف نفسه وحتّى عند ملاحقة البعثيين من قبل ضباط الشرطة فإنّهم يتعاملوا بشكل أقسى على البعثيين الشيعة من غيرهم من البعثيين وكان لمراسم العزاء الحسيني مواقفها تجاه سلطة عبد السلام عارف التي تميّزت بالطائفية الواضحة ومحاربة مراسم العزاء الحسيني بشكل واضح، وكان المعتقلون بسبب انقلاب ١٩٦٣ يرسلون إلى سجن نقرة السلمان، فكانت ردّات الرواديد في تلك السنة تتناول السلطة وتوعّي الشعب حول مظالم المعتقلين وظلم السلطات. وخاصّة بعد سيطرة عبد السلام عارف على السلطة. فكانت الردّات الحسينيّة لمواكب السماوة في كربلاء، كالتالي: كم شاب نايم بالسجن ومن جرحه يون يانقرة السلمان للظلم عنوان ليش طالع صاحبنا قاسي وغدار من السماوة انصار حيدر، علي ,وبسبب التضييق على الشعائر الحسينيّة فإنّ مراسم العزاء الحسيني أثناء الحكم العارفي لم تهدأ، فكانت

السلطة ترسل أفراد الأمن لتتبّع الزوّار والمعزّين وتُسجّل أسمائهم وتلتقط لهم الصور، وتُسجّل الردات الحسينيّة، وكتابة التقارير للسلطة حول الناشطين الحسينيّين، وبعدها تقوم السلطة بحملة اعتقالات ضدهم على إثر تلك التقارير، ولذلك كانت جلّ المواكب الحسينيّة في تلك الأعوام تقوم بتعريّة السلطة وأجهزتها وتهاجمها عبر الأشعار والردّات الحسينيّة، ولأجل فضح مخططاتها وأساليبها الطائفية الواضحة، فكانت إحدى ردّات المواكب الحسينيّة، كالتالي: سجّل يا أمن وأخبر مشيرك >لو ثار الشعب شنهو مصيرك وهذه أشاره واضحة على معارضة السلطات وتهديدها بالثورة في حال الاستمرار بالتضييق على مراسم العزاء واعتقال الناس على أساس انتمائهم المذهبي. كما ان المنبر الحسيني الذي كان عبر التاريخ هو عنصر التنوير والتأثير الأبرز على مستوى الأوساط الثقافيّة والدينيّة، فإنّه لم يكن بعيداً عن هذا الحراك ضد السلطات الطائفيّة ومواقفها ضد العزاء الحسيني وسياستها في التمييز بين أبناء الشعب الواحد على أساس الانتماء المذهبي، فقد جابه الشيخ الوائلي طائفية السلطة حينما رأى نشأتها في العهد العارفي، ورأى التباين في المواقف والتمييز بين أفراد الشعب، وحارب التباين الطبقي والانحرافات السياسيّة، فكانت قصيدته (رسالة الشعر) تحمل في طيّاتها صور عديدة مما يعرّي سياسة النظام في حينها، فقال في قصيدته :ويد تكبل وهي مما يفتدى ,ويد تقبل وهي مما يقطع, ويصان ذاك لأنّه من معشر >ويضام ذاك لأنّه لا يركع, فتبيني هذي المهازل واحذري >من مثلها فوراء ذلك إصبع, شدي وهزي اللّيل في جبروته >وبعهدتي إنّ الكواكب تطلع, والذي يقرا القصيدة أو يسمعها بلسان الشيخ الوائلي يجد إنّ التذمر من عمل السلطات واضح فيها، وكذلك انتقاد التمييز، وفيها أشاره واضحة للسلطات إنّها وراء كلّ تلك المصائب من خلال مقطع القصيدة الذي يشير:, فتبيني هذي المهازل واحذري >من مثلها فوراء ذلك إصبع, وكذلك نجد دعوة للثورة ضد السلطات الظالمة واتخلص منها، في مقطع القصيدة:

شدي وهزي اللّيل في جبروته >وبعهدتي إنّ الكواكب تطلع, وهذه من الدلائل الواضح للآثار السياسيّة الكبيرة لمراسم العزاء الحسيني التي يخشاها الحكام وتتحاشى تأثيرها السلطات فتضيّق عليها .وهناك عشرات القصائد التي انشدتها المواكب الحسينيّة في ردّاتها، في المآتم الحسينيّة باللّهجة العراقية وكانت بحقّ وسائل إعلام ناضجة، وصوتٍ عالٍ في وجه السلطات الظالمة وخاصّة في زمن عبد السلام عارف الذي اشتهر بإعلان طائفيته بشكل واضح، فكان الشعراء الحسينيون يوجّهون أشعارهم مياسرة إلى رأس النظام، فعلى إثر الاعتقالات التي قامت بها السلطات بعد انقلاب ١٩٦٣ كانت هناك ردّات حسينيّة تتناول هذه الاعتقالات وتتوعد النظام بالثورة، فالبعث قائم على فكرة الإلغاء والإقصاء فلا يمكن له ان يقبل حركة مؤثرة يتأثر بها الرأي العام وينساق معها، كمراسم العزاء الحسينيّة؛ لذلك فقد ناصبها العداء منذ بداية الانقلاب، ففكر البعث قائم على الكراهية وإلغاء الآخر وقائم على العنف، يقول عفلق: «العمل القومي القابل للنجاح هو العمل الذي يدفع إلى الكره الشديد حتّى الموت نحو الأشخاص الذين تتمثل فيهم الفكرة المعاكسة ومن هنا نفهم السبب الذي دفع سلطات البعث للتضييق على مراسم العزاء ومحاربتها، ونفهم كذلك مقدار الأثر الذي ممكن أن تتركه هذه المراسم في نفوس الشعب، والتأثير في آرائهم السياسيّة بحيث جعلت البعث يجعلها في أولويته العدائية. ورغم إنّ عبد السلام عارف انقلب على البعث وزجّ العديد من البعثيين في السجون إلّا إنّ الأمر لم يختلف مع الشعائر الحسينيّة، بل إنّ الأمر بدأ أسوء بمرور الزمن حيث رسخ البعث سلطته فيما بعد.

ثانيا :الآثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني من ١٩٦٨-٢٠٠٣

بعد الانقلاب الذي قام به حزب البعث في العراق عام ١٩٦٨، عمل منذ البداية على نيل استحسان الناس والاقطاب الدينيّة الرئيسية في المجتمع أو على الأقل لأجل أن تصمت وتغض الطرف عمّا يريد فعله؛ وذلك لأجل تعزيز سلطة الانقلاب، وتقوية جذور السلطة، وهذا الأسلوب استخدمه أغلب السلاطين والأمراء منذ العهد البويهي ولحد اليوم حيث كانوا يقومون برسوم الرموز الاجتماعيّة وعليّة القوم وإطلاق الأماني والوعود التي لا تنفذ أساساً لأجل القبول الشعبي، ونيل الاستحسان لفترة وجيزة ثمّ الأمر إلى وضع آخر بعد نيل المراد من الناس في قبول الحكم وعدم الاعتراضونتيجة التأثير الكبير لمراسم العزاء الحسيني شعبياً فإنّ كلّ سلطة جديدة تسمح لها عندما تكون سلطة وطنية متسامحة وتنظر للشيعة بلا تمييز، فإنّها تسمح بإقامة هذه المراسم، وبالعكس من ذلك تقوم السلطة بمنعها والتضييق عليها كعقاب مرّة أو خوف من تأثيراتها مرّة أُخرى. وبالرغم من إنّ البعث بداية سيطر على جميع الفعاليات والمنظمات الشعبية إلّا إنّه واجه صعوبة بالغة في

السيطرة على الموكب الحسينة ومراسم العزاء من أجل تقنينها وتسيسها لصالحه؛ وذلك بسبب قوّة المواكب ووعي القائمين عليها، فقد قام العديد من ممثلي الحكومة بعد عام ١٩٦٨ بالتعاطف مع المواكب الحسينيّة والمشاركة فيها، ونعتقد ان ذلك ناجم عن سببين :

الأول: هو وجود الكثير من الشيعة في صفوف قيادات البعث وهؤلاء ينتمون إلى أعراف أصبحت مراسم العزاء جزء منها.

والثاني: إنّ هذه التصرفات من قبل البعثيين هي جزء من المناورة السياسيّة في كسب الأغلبية في العراق والذين هم الفقراء والطبقات المسحوقة وعامّة الناس الذين يتعاطفون مع مراسم العزاء، وكذلك يعتبرون إنّ اندماج السلطة في صميم مشاعرهم والإحساس بعظمة الثورة الحسينيّة، وقبول التعبد بطقوسها، والانخراط في تفاصيلها، ما هو إلّا دلالة على وطنية الحكومة واقترابها من الشعب، وهذا الحسّ كان البعث يحلم في أن يناله من الناس في أدبياته، فمثلاً كان يقول في أدبياته «من أجل أن يكون البعث قوّة، فإنّ واجب الحزب الأوّل تنظيم الشعب وتعبئته حول العقيدة التاريخية واستنفار قواه وتحريكها.. من أجل المشاركة الفعّالة في الثورة.. ميدان عمله، جماهير الشعبأمّا أن يكون البعث قد اتفقت إرادته السياسيّة مع محتوى الشعائر الحسينيّة حيث القيم الساميّة، فإنّ هذ الأمر مستبعدٌ جداً برأينا وهو غير مقبول أيضاً؛ لأنّ فكر البعث بالأساس علماني وذو نزعة اقصائية لا يملك حتّى المستويات المتدنية من منهج وإمكانيات الحوار، ونعتقد كذلك إنّ التغاضي عن إقامة الشعائر في أشهر الانقلاب الأولى ما هو إلّا حركة ذكية من قبل الانقلابيين لغرض التفرغ لحل الإشكاليات الكبيرة في الواقع العراقي قبل الدخول في معركة مع مراسم العزاء والشعائر الحسينيّة وهو ما أكدته الوقائع اللاحقة .

تضييق السلطات البعثية على مراسم العزاء بعد ١٩٦٨،الأسباب والدواعي

كانت البنية البشرية لحزب البعث توحي بانه ينتمي إلى العراق بلا تمييز، وإنّ السلوك المبني على الأسس التي تقوم عليها نظرية البعث تسعى لقلب الأوضاع نحو الرخاء والعدالة، وكان منظّري البعث يؤكدون على هذه القضية باعتبارها ميّزة ومنقبة، ويؤكدون على أنّ البعث يسعى لخلق بيئة عبر مشاركة جميع الأطياف في القرار وهي بلورة نظرية ثورية في الوجدان الاجتماعي فكوادر البعث المتقدمة مكونة من «ميشيل عفلق مسيحي والبيطار سني وصلاح جديد علوي وفؤاد الركابي شيعي وطه الجزراوي كردي وطارق عزيز مسيحي ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً، رغم إنّ منظّري البعث يجدون التفسيرات الكثيرة للتقاطع بين الشيعة والبعث، والعلاقة بين الشيعة والسلطة البعثية، وهذه التفسيرات كانت لها الأثر الكبير في إشعال الحرب على الشعائر الحسينيّة. وبرأينا إنّ البعث عندما شن الحرب على الشعائر الحسينيّة إنّما كان ذلك نابع من مجموعة من العوامل منها :

١ .الطبيعة الأحادية والاتجاه الاقصائي التي كانت تميّز فكر وسلوك البعث .

٢ .يرى البعث ان الحوزات العلميّة والمدرس الدينيّة هي معالم الرجعيّة العربية التي يجب اقصائها والتخلص منها .

٣ .الطبيعة المنهجية لإدارة الصراعات في العقل البعثي الذي يمارسه بمنهجية العصابة، في رفض المخالف وليس العقل المنهجي المبني على أُطر نظرية وخطط عمل قائمة على منطلقات ووسائل وأهداف، بل نجد العقل البعثي يكثر من التنظير الفارغ لكنه في التطبيق ما هو إلّا سلوكيات بدائية خالية من أي أُفق أو ولاء لأي مبدأ. وهو حال كان سائداً في النصف الأوّل من القرن العشرين في الكثير من الحركات التي تدعّي الثورية وذلك بالتأكيد نتيجة ارتباطها بمستفيد خارجي .

٤ .ادرك البعث إنّ سياسة القلب المفتوح والاحضان الزائفة التي كان يقدمها للشعائر الحسينيّة إنّما ترسّخ هذه الشعائر، وإنّ الترابط المذهبي الوثيق بين المرجعيات الدينيّة والتيارات الفكريّة والروحية بين الشعب العراقي والشعب الإيراني وهذا الارتباط قائم على تراث أهل البيت (ع)، وإنّ البعث لم يكن ملتفت لهذه القضية بداية ولم يدرسه بعمق أو لم يكن يدركه؛ لذلك وصف هذا الترابط بانه غير شرعي باعتبار إنّ نظرية البعث القومية تكّن العداء للفرس لاعتبارات تاريخية كما يصفونها في أحاديثهم وتنظيراتهم وعلى أساس هذا الفهم وغرابة التحليلات تولدت فجوات هائلة في الوعي لكوادر البعث بحيث انعكس ذلك على تبني القيادات الدنيا والميدانية لقرارات وتدابير حمقاء كان يمكن بشيء من الواقعية ادراك الحقائق كما هي، والتأني في تدارك آلاف المآسي التي أودت بحياة مئات الآلاف من العراقيين وغير العراقيين في فترة زمنية كان البعث هو سيّد الموقف فيها .

وفي ذات الإطار قاموا برسم استراتيجية ثقافية مذهلة فعلت فعلها في الشارع العراقي في حشد الناس وتوجيههم ضمن النطاق الذي يعمل البعث على تأصيله، وبذلك زرعت الأوهام والقيم غير الأصيلة والغريبة، وصارت مما يؤمن بها الكثير ممن دجّنهم البعث بأفكاره اللاواقعية، وفي هذا الإطار انبرى الكتّاب البعثيين والموالين للبعث بالتصدي للموروث الشيعي، وحاولوا ارجاع بعض هذا الموروث إلى أصول فارسية إيرانية واعتباره دخيلاً على مذهب أهل البيت (ع)، فكتب حسن العلوي؛ دماء على نهر الكرخة تحت اسم مستعار هو حسن السوداني وروّج البعث كثيراً لكتابات الكاتب الإيراني علي شريعتي، ولقيت كتاباته انتشاراً واسعاً في بدايات انقلاب البعث ١٩٦٨ لأنّه يصب في ذات التوجّه، حيث مراجعة ونقد لبعض الأسس البنيوية للتشيّع بحجة إنّها من إنتاج التشيّع الصفوي ودخيلة على التشيّع .وقد انخدعت العديد من المؤسسات الدينيّة بنشاط حزب البعث بعد تسلمه السلطة، حيث لاحظوا كيف كانت مظاهر التأييد لمراسم العزاء والشعائر الحسينية مبالغ فيها إلى درجة أنّ السلطات المحليّة في بعض المدن قامت بتسخير الآليات البلدية لتوزيع الماء على المواكب وتمهيد الطرق للتسهيل على الزائرين في زيارتهم في أربعينية الإمام الحسين (ع وقام العديد من الكوادر المتقدّمة في حزب البعث وخاصّة من ذوي الأصول الشيعية بأنفسهم للإشراف على المواكب الحسينيّة، وفي نفس الوقت كان تنظيم الحزب يتداول تعليمات مراكز التثقيف بإنّ مراسم العزاء الحسيني ليست ضرورية في هذا الوقت وأغلبها لا يشكّل جزاءً من صميم الرسالة الإسلاميّة ومذهب أهل البيت (ع) وكان البعثيون يهدفون إلى مبدأين اثنين واعتبرا مبدأين أساسيين في تمزيق الشيعة تمهيدا لبسط نفوذهم بلا منغصات أو مشاكل:

الأول: هو محاولة إحداث فجوة بين المرجعية الدينيّة في النجف الأشرف وبين عموم الشيعة وقد نجحوا بعض الشيء في ذلك الوقت، حيث ابتعد الكثير من عامّة الناس عن التواصل مع المرجعية أو الالتزام بإرشاداتها

والثاني: هو إيهام الناس بأنّ البعث يحترم الشعائر الحسينية، وقد وقع الكثير من الناس في أحضان البعث تحت تأثير تلك الثقافة، أو طمعاً بالمكانة والجاه أو خوفاً من بطش السلطة، وبالتالي انقلبوا على تاريخ العراق ومكوّناته الثقافيّة والمذهبيّة، ومما يذكر إنّ العراق بدأ التركيز عليه منذ العهد البويهي وربما قبله وأصبحت وسائل الإعلام تثقف لضبابية العلاقة الروحية بين الإنسان وبين الله

بلغ العداء الذي يكنّه القائمون بالانقلاب إلى درجة إنّها أصدرت بعض التعليمات السرية التي تهدف إلى القضاء على المرجعية الدينيّة ففي ١٩٦٩/٠٤/٠٤ صدر قرار رسمي من القيادة القطرية والقومية لحزب البعث بـ«ضرورة القضاء على الرجعيّة الدينيّة باعتبارها العقبة الكبرى في مسيرة الحزب الحاكم وبعد أن احكم البعث قبضته ونتيجة البطش الذي أبدته السلطات بعد التقارير السرية التي يزودها المخبرون السرّيون المنظومة الحزبية حول نشاط الناشطين الحسينيين والفاعلين في المواكب أخذ الناس يأخذون جانب الحيطة والحذر في نشاطهم الحسيني ومراجعتهم للمساجد والحسينيات.فقد قامت سلطات البعث بتجنيد أفراد ليس عليهم شبهات أخلاقية أو سياسية بين المجتمع وزجّهم في الحوزات الدينيّة والمدارس والأوساط الدينيّة الأخرى، وهم بالأساس جواسيس ينقلون الأخبار للسلطة، فمثلاً في عام ١٩٧١ أخذت بالتضييق على مراسم العزاء، فقامت بأوّل عمل تعسفي من خلال التحكم بفقرات الاحتفال في عاشوراء في النجف الأشرف، وسمحوا بفقرات أُخرى أمام أنظار القائمين على المواكب، وتلى هذا التصرف قيام مجموعة من سكنة منطقة العمارة بحمل المشاعل والتجوال في منطقتهم كنوع من التحدي للسلطة، واتجهوا نحو الصحن الحيدري الشريف وأثناء الدخول ووسط التزاحم صادف مدير الشرطة متواجداً عند أحد أبواب الصحن الشريف دون أن ينتبه إليه أحد، وكنتيجة للتدافع بسبب التزاحم اعتقد أفراد الشرطة إنّ مديرهم قد أُعتدي عليه فاطلقوا النار بالهواء، مما أدى إلى ردّة فعل قويّة مدفوعين بشعورهم بالظلم الذي لحق بهم جراء تصرف السلطات، فهجموا على الشرطة الذين لاذوا بالفرار ثمّ طاف المتظاهرون في الصحن الحسيني مردّدين شعارات حسينيّة وأُخرى منددّة بالسلطة، فهرعت بعدها أجهزة الأمن والاستخبارات إلى المكان فقام المتظاهرون برشقهم بالأحذية والحجارة واستمر الحال حتّى منتصف الليل وفي الصباح وصل وزير الداخلية إلى النجف في وقتها صالح مهدي عماش لتهدئة الأوضاع، وكنتيجة للآثار السياسيّة التي أحدثتها المواكب الحسينيّة في هذه المظاهرة، أجبرت السلطات إلى التراجع عن مواقفها السابقة في المنع، فأمر وزير الداخلية بعدم التعرض لأي متظاهر أو محتج، وأصدر أمراً بالسماح لأهل المدينة بإقامة شعائرهم كيفما يشاؤون وبدون أيّة قيود، وقد كانت هذه المحاولة تحاشياً لانتقال التظاهرات إلى مدن أُخرى، وخاصّة إنّ البعثيين كانت أصابعهم ضعيفة ولا زالت قبضتهم راخية لم تطبق على أعناق العراقيين بعد. كما إنّ أجهزة السلطة استخدمت هذا الأسلوب مع بقية المدن، حيث

تمارس المنع بشكل قطعي ولكن ما إن تظهر علامات الثورة فإنّها تسرع إلى التهدئة والسماح بإقامة الشعائر وتشتيت الانتباه عن السياسة الرسمية للسلطة التي بدأت تظهر معارضتها لمراسم العزاء علناً، واختفى التردد ومدارات الناس، بل وأصبحت تخطف وتعذّب وتستجوب من ترى منه ميولاً دينية لإقامة الشعائر أو أعلن الاعتراض على سياسة الحكومة وفي عام ١٩٧٤ وبعد ان تثبتت أركان السلطة واستقر حال الحزب الحاكم آنذاك، أصدرت السلطات بعض التعليمات التي تضع القيود على الشعائر الحسينيّة مثل منع مكبرات الصوت أن تكون خارج الحسينيّات، ثمّ نشر عناصر المخابرات والأجهزة الأمنية الأُخرى بين الأزقة والأحياء الشعبية في شهريّ محرّم وصفر وهذا الأمر رغم خطورته وتأثيره الكبير على الشعائر الحسينيّة، إلّا إنّه لم يفت في عضد القائمين على إقامة مراسم العزاء، حيث استمرّوا بإقامتها وبطرق مختلفة وبشكل يتكيّف مع بنود المنع؛ لكي لا يثيروا السلطات من جهة، ومن جهة أُخرى لكي يحافظوا قدر المستطاع على هذه الشعائر.وفي عام ١٩٧٥ أصدرت الحكومة أمراً نهائياً بمنع الشعائر الحسينيّة، ولم يكن هذا القرار سهلاً أو يمر بين الناس مروراً عابراً، فقامت على إثر ذلك فعاليات مختلفة وفي محافظات عديدة وخاصّة في النجف الأشرف، إذ قامت بمظاهرات عارمة ترفع شعارات منددّة بهذا القرار.وفي يوم ١٩٧٥/٠١/٢٣ خرجت الجماهير وبشكل غير مسبوق منددّة بسلطة البعث في عدد من المحافظات الجنوبية يطوفون في المدن والأسواق مستنكرين قرارات الحكومة، وكانت بعض المظاهرات تردّد شعارات سياسية تشجب العلمانية والكفر ومظاهر العصرنة التي تعارض إقامة الشعائر الحسينيّة مثل شعار: يبو فاضل گوم لينا, عفلق تسلط علينا , وكانت هذه المظاهرة إيذاناً بعصر جديد من المواجهة بين الشعب والسلطة البعثية التي بدأت تظهر نواياها تجاه مراسم العزاء الحسيني شيئاً فشيئاً، وبعد هذه المظاهرة تراجعت الحكومة عن قرارها واضطرت أن تسمح بإقامتها ولكن ليس بكامل تفاصيلها، إذ سمحت أن تقام المواكب ومجالس التعزية دون باقي التفاصيل، وكان ليس من السهل على الحكومة التراجع عن قرارها خاصّة وإنّها بدأت تعزّز أركان قوّتها وتجرّ وجودها في المجتمع العراقي عبر شراء الذمم والإغراءات والرشوّة مرّة، وأخرى عبر القسوة والتعذيب؛ والتي من خلالها تمكّن البعثيون من التحكم بمفاصل الدولة وأصبحوا قادرين على عدّ أنفاس الناس ومعرفة كلّ ما يدور في المدن والأحياء وبأدق التفاصيل وقامت السلطة بعد ذلك بنشر مفارزها وعناصر أجهزتها الأمنية في النجف لأنّها أصبحت القلب الذي يغذي المحافظات الأُخرى بشكل أو بآخر، وفيما كان القارئ (الرادود) عدنان الطيار يقرأ المقتل وحوله أعداد كبيرة من الزوّار في الصحن الحيدري، حدثت مشاجرة بين الشرطة والزوّار فحدث إرباك كبير في الصحن الحيدري، اجتمعت أصناف من أجهزة الأمن في المكان خوفاً من تحوّل الكلام إلى مظاهرة، ورغم ذلك لم يتمّ السيطرة على الموقف، إذ احتشد الأهالي وأصحاب المحلات القريبة من الصحن الحيدري وقاموا بإطلاق شعارات ضد حزب البعث ونظامه العلماني، وأخذ البعض يمسك السكاكين الكبيرة والقامات وتظاهروا حول المكان وفي الأزقة القريبة وتفرقوا بعد ذلك من تلقاء أنفسهم من دون أن يكون لقوات الأمن أي قدرة على ضبط الأمور وفي يوم ١٩٧٦/٠٢/١٤ كتب السيّد الصافي مذكرة إلى رئيس الجمهورية يوضّح فيها طبيعة عمل الأجهزة الأمنية ويعود فيها إلى الإيعاز لهم بالكف عن ممارسة منع الأهالي في المحافظات الجنوبية من ممارسة الشعائر الحسينيّة «... إنّ تلك الإجراءات غير موفقة، وتلك ظاهرة مشينة ومرفوضة... تباح للسنّة خطبها ويباح لها الذكر في بيوتها، وتجوز للموسوية (اليهود) والمسيحية والصابئة خرافاتها، حلال للمسيحين ان يرقصوا في كلّ الأرض في أعيادهم، وحرام على الشيعة أن يمشوا في الأرض بوقار لزيارة الإمام الحسين (ع)، أو . إنّه لما لا ريب فيه . بان في العراق فقط السنّة وما الشيعة إلّا أعاجم تتقاذفهم الدروب، مَنْ هم؟ وما عساهم فاعلون؟ افتوهم ليصوموا، واجبروهم ليفطروا، وازجروهم لينتهوا عن زيارة الأربعين وقد أجاب رئيس الجمهورية على الرسالة فأبدى موافقته على إقامة مراسم العزاء، وشكر الصافي على النصح، ولكنه تجاهل تماماً ما ذكره السيّد الصافي في رسالته حول الاعتقالات لمنظمي المواكب الحسينيّة والمشاركين في تنظيمها، وهذا الموقف يظهر النزعة الفوقية والارستقراطية التي كان يعيشها البعثيون، حيث كانوا يشيرون للشعائر بانها من الرجعيّة حيث كانت تسود لديهم حالة البراءة من التاريخ ووصفه بالرجعيّة جعل أغلب من يقترب من الفكر والسلوك البعثي يرى أنّ أيّ سلوك مؤدب وفق رؤية روحانية أو اتجاه تعبدي خارج عن سياقات العمل البعثي الذي يدعو إلى العصرنة والحداثة والانفتاح، فإنّه عمل رجعي متخلف، حتّى إنّ أغلب الناس في ذلك الوقت كانت تترك الصلاة ومظاهر التدين لكي لا يتعرضوا للسخرية وحتّى الجهة التي كانت بمتابعة نشاط المتدنيين وأصحاب المواكب العزائية والناشطين السياسيين في الحركات الإسلاميّة كانت تسمى في ذلك الوقت (مديرية مكافحة النشاط الرجعي وكنتيجة لما تتميّز به مراسم العزاء الحسيني

في العراق خاصّة بذلت معظم الحكومات المتعاقبة في البلاد جهوداً مضنية من أجل القضاء عليها، لإنّها تغذي الجماهير بالروح الثورية التي تستلهمها من مواقف الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه، في واقعة كربلاء (سنة ٦١ هجرية) إذ تتحول معظم المدن العراقية إلى انتفاضة مشتعلة وخاصّة في شهري الحزن محرّم وصفر، وهذه الانتفاضة تهابها السلطة بشكل كبير، ورغم الطبيعة المتسامحة لشيعة العراق الذين كانوا يرون الإسلام جزءاً واحداً ولم يتحركوا في أغلب الصراع مع السلطة من خلفية مذهبية، أو على الأقل كانت القضايا الشاغلة لهم هي تلك التي تتعلق بالدين، وممّا استفز الشيعة أكثر وخاصّة في وقت تسلم البعث السلطة هو إنّ ما رافق التضييق على مراسم العزاء الحسيني ومحاربة الشعائر هو نشر الملاهي والخمارات في المدن العراقية ولم تستثن حتّى المدن المقدّسة مثل النجف وكربلاء وسامراء

رغم إنّ فترة حكم البعث الفترة الأصعب والأكثر تضييقاً على إقامة مراسم العزاء الحسيني، ولكنّها شهدت كذلك مواجهة ومقاومة لهذا النهج من قبل المرجعية الدينيّة وأبناء الشعب العراقي كما انتج هذا التشديد ظهور مرجعية الشهيد السيّد محمد باقر الصدر الذي انتهج نهج المقاومة لحكومة البعث انطلاقاً من نهجه المختلف عما هو قائم في الحوزات الدينيّة في النجف الأشرف، إذ إنّ الشهيد الصدر كان من دعاة ولاية الفقيه، لذلك فقد اتخذ نهج مقاومة هذا النظام كطريق كان يراه هو المناسب في سبيل إصلاح الوضع وإرجاع الحقوق، وانطلاقا من الفهم الذي كان سائداً لدى الشهيد الصدر إنّ نظام الحكم في حينها لا يتوانى عن فعل أي شي في سبيل بقاء حكمه، فقد كان نظام صدام حسين قاسياً لدرجة إنّه مستعد لقتل آلاف في يوم واحد ولذلك فقد عمد الشهيد الصدر إلى قرار التصدي للنظام عبر طرح مطاليب إصلاحية للوضع القائم أوّلاً، والضغط من أجل تحقيقها عسى أن يتمّ ردع النظام عن القيام بمخططاته لتصفية الوجود الإسلامي ومن مبدأ ثورة الإمام (ع) ولكي لا يساق الناس إلى الموت بلا رحمة، ولإيمان الشهيد الصدر: «بأنّ الدماء التي تسقط في مواجهة الظالم يكون لها تأثير كبير على الأُمّة في تحريرها من إرادتها الضعيفة أو المفقودة ولو بعد حين وجاء قرار الشهيد الصدر بالتحرك بعد دراسة الواقع فقرر التحرك واتخذ عدة إجراءات ومطالب إصلاحية كان من أولويّاتها حرّيّة الشعائر الحسينيّة وإقامة مراسم العزاء الحسيني بلا مضايقات أو قيود .

وكانت مطالب الشهيد الصدر الإصلاحية كالاتي)

أ. إطلاق سراح المعتقلين السياسيين .

ب. إيقاف الاعتقالات الكيفية والتعسفية.

ج. إطلاق حرّيّة الشعائر الحسينيّة واحترامها .

د. إيقاف حملات التبعيث القسرية.

وبعد هذه المطالب الإصلاحية وضغط أجهزة الأمن الحكومية وطلبهم من المرجع الشهيد بضرورة سحب مذكرته التي أرسلها للحكومة وتضمنت تلك المطالب، اجتمع الشهيد الصدر مع وكلائه وطلابه واتخذ قراراً بالسماح تأتي إلى النجف لتجدد ولائها للسيد الصدر، وكانت المنابر الحسينيّة منطلقاً لتوعية الناس بالمطالب الحقّة، والمساجد مكاناً ومنطلقاً للوفود التي تأتي إلى النجف لمقابلة الشهيد الصدر. وكانت تلك الوفود تتشكّل من علماء دين وأئمة مساجد وينظمّها الشباب، وكان مكتب الشهيد الصدر يضيق بالوفود لتستمع إلى كلمة الشهيد الصدر، «حيث تدفع كلماته الوافدين نحو العمل والتضحية والتمسك بالإسلام ومبادئه العادلة لقد كان المنبر الحسيني والمراسم الدينيّة وسيلة لنشر فكر الشهيد الصدر وطروحاته السياسيّة، وكانت محاضرات الشهيد الصدر التي يلقيها في مسجد الطوسي، حول نشوء الأمم ونهايتها ومقوماتها، وكذلك السّنن التاريخية، فقد وجدت صداً واسعاً وأخذت تنتشر بشكل كبير بين الشباب الجامعيين يتلاقفون اشرطتها ويناقشون مضامينها، وانتقل بعضها إلى خارج العراق، «ثم أصبحت هذه الأشرطة وسائل جرمية يعاقب عليها النظام وقد كان البعثيون يعلمون المكانة التي تحتلها المرجعية الدينيّة في نفوس الشعب العراقي، لذلك راحوا يتوجسون من تحركات السيّد محسن الحكيم أوّلاً ثمّ بعد ذلك مرجعية السيّد محمد باقر الصدر وجهودهما في إشاعة الثقافة الدينيّة في الوسط الشعبي، والتغلغل إلى شرائح المجتمع وطبقاته، ومحاولة العمل على حفظ الهوية الدينيّة الإسلاميّة للجماهير العراقية بوجه التيارات الفكريّة الغربية التي شاعت آنذاك، لذلك اتخذ قراره القاطع بمحاربة كلّ اشكال النشاط الديني واعتبروا هكذا نشاطات كمخططات تستهدف النظام، وهو كذلك شكلاً من اشكال التهديد السياسي لوجود البعث والنظام

واعتبارها وسيلة من الوسائل التي يمكن من خلالها كسب الولاء السياسي .ويمكن تلمس الاثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني بعد حكم البعث في قضيتين أساسيتين وهما:

١: الاثار السياسية لمراسم العزاء الحسيني في انتفاضة صفر ١٩٧٧

من الآثار السياسيّة البارزة لمنع البعث لمراسم العزاء الحسيني ونتيجة لسبع سنوات من التضييق والمحاربة للشعائر الحسينيّة، أن ضاق الناس ذرعاً بأساليب السلطة الحاكمة في العراق، وبعد فشل السلطات في منع الشعائر الحسينيّة رغم الإجراءات المتشددة، ورغم تحشيد قوات كبيرة ساهمت في منع الناس من المشي إلى كربلاء سنة ١٩٧٦، حيث وصلت الجموع إلى كربلاء بعد ثلاثة أيّام من المشي، والمواجهة مع أجهزة السلطة، اتخذ النظام قراره القاطع بمنع الزيارة، وفي رأينا كان هذا القرار فيه أبعاد متعددة منها:

١ .ما يتعلق بطائفية البعث ومصدره كراهية الشيعة وكل ما يمارسونه أو يعتقدون به .

٢ .بعداً سياسياً حيث تسهم تلك المراسم في استنهاض حماسة الجماهير عبر استلهام فاجعة الإمام الحسين (ع) وتصديه للظلم وانفته وكبريائه في مواجهة الدكتاتورية في عصره .

٣. شعوره بتنامي وامتداد تأثير مرجعية السيّد محمد باقر الصدر في الأوساط الشعبية، وقد كان السيّد الصدر قد منح مباركته للانتفاضة التي حصلت عام ١٩٧٧ وهو ما يفسّر مخاوف البعث تلك.حيث كانت انتفاضة صفر ١٩٧٧ كنتيجة طبيعية لما قام به النظام من مضايقات ومنع للشعائر، وكان لهذا المنع أثراً واضحاً في نفوس الجماهير انعكس على وعيها السياسي بأنّ السلطة قد كشفت عن أساليبها الحقيقية بعد سنوات من الأفعال التبريرية والاختباء وراء الشعارات؛ لذلك كان قرار الانتفاضة قراراً فيه تحدّي كبير، وفيه اتضحّت هوية الصراع الذي يواجهه أبناء الشعب العراقي، ففي ليلة العاشر من المحرم (٢كانون الثاني يناير ١٩٧٧) خرجت مجموعة في النجف الأشرف تحمل السلاح الأبيض واشتبكت مع عناصر السلطة فأنزلت بهم خسائر ملحوظة وعلى أثر ذلك أُلقي القبض على أفراد المجموعة وتعرضت لصنوف التعذيب مما أدى إلى وفاة أحدهم .هذه السلسلة المرتبطة من الانتفاضات والتحركات الجماهيرية الإسلاميّة مثلت مقدّمة ضروريّة لانتفاضة صفر الكبرى، والتي حدثت في الفترة من ٤–٧ شباط ١٩٧٧ حيث توجّت التفاعلات الثورية وعلى مدى سبع سنوات بولادة هذه الانتفاضة الإسلاميّة التاريخية، في البداية عمّمت السلطة قرارها المتشدد بمنع المسيرة الحسينيّة السنوية الراجلة إلى كربلاء، واجتمع محافظ النجف والمسؤولون الحكوميون والحزبيون بوجهاء المدينة ورؤساء المناطق والمواكب في قاعة الإدارة المحلية في مطلع شباط ليبلغوهم قرار قيادة الحزب الحاكم المذكور، إلّا إنّ الاجتماع فشل فشلاً ذريعاً، وخرج زعماء المسيرة أكثر عزماً على تنفيذ مخططهم الذي تم إعداده منذ الأيّام الأولى لشهر صفر (أواسط كانون الثاني ١٩٧٧) لعلمهم المسبق بنوايا السلطة، وبعد أن جاء الموعد في الرابع من شباط بدأت المنتفضون في الظهور في النجف الأشرف، ثمّ خرجت جماهير المدينة لتشارك في التظاهرات، حيث اتجه ما يقرب من ٢٥٠ ألف شخص من مختلف الأعمار صوب الطريق الرئيسي الذي يربط النجف الأشرف بمدينة كربلاء المقدّسة، في مسيرات هادرة بالحزن والغضب ويهتفون بسقوط حكم البعث ويعاهدون الإمام الحسين (ع) على التضحية في سبيله حتّى الرمق الأخير، لقد كانت الانتفاضة وزخمها الكبير ونتائجها وحماسة المنتفضين، وإصرارهم على المضي رغم حصار أجهزة السلطة، ورغم الشهداء والجرحى نتيجة المواجهات، قد اربكت النظام بشكل كبير بحيث أعلن النفير العام في صفوف البعث، وحالة الطوارئ القصوى في القوات المسلحة العراقية، والعمل على اعتقال الآلاف من المتظاهرين، ورغم كلّ ذلك لم تتوقف الانتفاضة إلى ان انتهت يوم ١٧و١٨ صفر عند نقطة خان النخيلة وقد قدر عدد المعتقلين ممن شاركوا في هذه الانتفاضة بحدود عشرة الاف شخص وتعرضوا للتعذيب واستشهد عدد منهم تحت التعذيب، وتمّ إعدام أشخاص على شكل مجاميع وحكم على اخرين بالسجن لسنوات متعددة لم تكن انتفاضة صفر قد فتحت باب الخلاص من الحكم البعثي، وكانت مجزرة وحشية بحق مواطنين عزل، وبقراءة موضوعية فإنّ تلك الانتفاضة:

١–كانت اختباراً حقيقياً لعواطف الجماهير الشيعية التي نجحت في إثبات إنّها متمسكة بعقيدتها وأفكارها الدينيّة .

٢– .عرت حزب البعث الذي كان قد أفاد كثيراً من عداء المرجعيات الدينيّة للحزب الشيوعي، وكان المقياس أن البعث مقابل الشيوعية لا يعتبر كافراً أو ملحداً، وقد حاول خداع الجماهير بذلك.

٣- دعمت راي السيّد محمد باقر الصدر بكفر هذه السلطة وعدائها للدين والشعائر ممّا يستوجب تحديها وعدم الاستسلام لها .

٤- كشفت إنّ القانون الذي تحكم به السلطة هو القانون الانتقائي الذي «ينطبق مع مشتهيات السلطة الآثار السياسيّة لانتفاضة صفر وكان الأثر السياسي لهذه الانتفاضة واضحاً وكبيراً الأمر الذي أجبر النظام بالسماح بإقامة مراسم العزاء، ولو كان ذلك بشكل محدود، ومن يعرف حجم ردّة الفعل من قبل السلطة لا يتوقع أن تسمح بها مجدداً، ولكن الخشية من تجدد الانتفاضة هو الذي أجبرها على السماح بذلك، حيث أصبحت المشاركة الشعبية بالمسيرة الحسينيّة في السنوات اللاحقة واسعة جداً وإضعاف ما كانت عليه في السنين السابقة، ممّا يدلّل على إنّ الجماهير قد عمّقت ارتباطها بثورة الإمام الحسين (ع) وشعائره الدينيّة، وهذا من الآثار السياسيّة الكبيرة لتلك الانتفاضة الحسينيّة، كما ان الانتفاضة الحسينيّة هذه ساهمت في نشر الوعي الإسلامي في صفوف عامّة الأُمّة، بعد أن حاول النظام تزييف الوعي لديها وزرع القيم الغربية فيها، كما ان الانتفاضة اثبتت عملياً إمكانية مقارعة السلطة بأيد عزلاء لقد حاول النظام من خلال هذه القسوة إلى إجبار الحركة الإسلاميّة لتكشف عن تحركاتها وما تخفيه من أساليب في مقارعة النظام، أي: أراد الكشف عن الجانب الحركي لهذه الحركة، بغية ضربها مبكراً من خلال كشف أفرادها واعتقالهم وسلب الاعتراف منهم حول خيوطها وامتداداتها، ويأتي ذلك من خلال ممارسة الضغط الداخلي عليها إلّا إنّ ذلك لم يحدث مما آثار حفيظة النظام، وحاول بأساليب مختلفة أن يمارس الضغط والتقييد للشعائر الحسينيّة، بالتزامن مع حملة شرسة وممنهجة في الضغط على قادة الرأي في الوسط الشيعي، ومنهم طلاب الحوزات الدينيّة، وهذه المرّة بطريقة مستحدثة؛ وهي قرار عدم إعفائهم من الخدمة العسكرية، وقرارات أُخرى أقل ما يقال عنها إنّها التفاف على قرارات سابقة في السماح بإقامة مراسم العزاء التي كانت بتأثير انتفاضة صفر، ومنها تحديد عدد الزوّار الأجانب للأضرحة المقدّسة، والسعي بكلّ قوّة لعدم وصول الحقوق الشرعية من الخارج للمدينة المقدّسة (النجف الأشرف وإجراءات أُخرى سحب إجازة بناء جامعة الكوفة الخيرية ومصادرة الأموال التي رصدت لبنائها وكان الجزء الأهمّ في سياسة الحكومة هو منع إقامة الشعائر الحسينيّة، ورغم كلّ المطالب والمناشدات التي قدّمتها شخصيّات دينيّة وسياسيّة معروفة في العراق ومن خارجه، حيث تمّ منع زيارة الأربعين وزيارة النصف من شعبان ومنع كافة مظاهر العزاء في أيّام استشهاد الإمام الحسين (ع) في العراق هذه المضايقات أوقدت التحدي في نفوس الجماهير وكان لها آثارها في البعد السياسي ضد النظام وأجهزته، حيث كان يأمل النظام أن تنصاع الجماهير بعد هذه المضايقات، ولكنه جاءت بنتائج عكسية تماماً، منها:

1. زادت من إقبال الناس على ممارسة الشعائر الحسينيّة، وإقامة مراسم العزاء، ولو خفية .
2. تفتقت عبقرية الناس في توقع حركات النشاط الأمني للأجهزة الحكومية .
3. تولدت لديهم استراتيجيات عدم الوقوع في الاعتقال والإعدام سواء عن طريق الرشا لبعض المسؤولين أو عن طريق ممارسة الشعائر الحسينيّة في البيوتات والأماكن الخاصّة بعيداً عن أعين الجواسيس وقد ازدادت مع مرور الزمن الاحتجاجات والمظاهرات مع تزايد التشديد الحكومي على ممارسة الشعائر، فأصبحت الشعارات تطلق علناً، والاصطدامات بين الأجهزة الأمنية والشعب متوقعة في كلّ مناسبة دينية، فما إن تأتي زيارة الأربعين حتّى تبدأ الملاحقات والاغتيالات والاعتقال والحبس لأتفه الأسباب، وممن اعتقل وأبرزهم السيّد محمد باقر الصدر، والسيّد محمد باقر الحكيم وقد كان لانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران أثراً مهمّاً في تقويّة جذوة التحدي لدى الجماهير العراقية، كما إنّها كانت حدث مهمّ في تحديد طبيعة العلاقة بين السلطة وبين إقامة الشعائر الحسينيّة والنشاط الديني الشيعي بشكل عامّ. حيث وقفت الحكومة العراقية موقفاً مرتبكاً، كانت الخشية من أن يتحول نشوء دولة دينية شيعية مجاورة للعراق إلى باعث كبير لبلورة نفس النموذج في العراق وقد كان ردّ الحكومة العراقية باهتاً ومتناقضاً، فإعلامياً وجه الرئيس العراقي برقية تهنئة بمناسبة انتصار الثورة الإيرانية، أمّا في الواقع العراقي، فقد شنّت الأجهزة الأمنية حملة شديدة من الاعتقالات للنافذين في الأحزاب الإسلاميّة، وشنّ الإعلام العراقي حملة قويّة ضد التوجهات الإسلاميّة ووصفها بالرجعيّة وتشويه صورة الدولة الدينيّة في السياسة المعاصرة

وكانت الماكنة الإعلاميّة الأمريكيّة والإنجليزيّة أهم أحد الأسباب التي روجّت للخطر الإيراني على العراق والخليج، ممّا أدّى إلى التضييق المكثف على نشاطات القيادات الدينيّة بشكل غير مسبوق، وخاصّة تحركات السيّد محمد باقر الصدر، وتشديد الإجراءات المضادة لممارسة الشعائر، وشنّ حملة إعدامات غير مسبوقة، وفرضت رقابة شديدة وتحقيق هويات كلّ من يذهب للزيارات الدينيّة وتوجّت السلطة حملة

اعتقالاتها باعتقال السيّد محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى؛ وذلك لدورهما الكبير وأثرهما في تأجيج روح الثورة ضد النظام، ثمّ إعدامهما بعد التعذيب الشديد الذي مورس بحقهما، وذلك بتاريخ ١٩٨٠/٤/٩ ثمّ بدأت الحكومة العراقية طوراً آخر من التنكيل بالعوائل الشيعية أو العوائل التي لها أصول غير عراقية ففي يوم ١٠ /١٩٨٠/٤ بدأت عملية تهجير قسري لآلاف العوائل العراقية بحجة إنّ أصولها إيرانية، حيث تعرضت هذه العوائل إلى صنوف من العذاب والألم والمعانات على يد الأجهزة الأمنية ليست الرحمة والعدالة من أولوياتها أبداً، حيث مات العديد من المرضى وكبار السن، والأطفال من العطش والظروف الصعبة وكانت لهذه الأحداث المهولة على الشعب العراقي آثاراً لا زال بعضها ماثلاً إلى اليوم، من حيث الرعب الذي عاشه الناس، والعيون والجواسيس التي تعدُّ أنفاس الناس، وتقيّد الحريات بشكل لا يوصف.

في هذه الأجواء الرهيبة والتي لا يمكن لأحد أن يضمن أن يرى شروق الشمس في اليوم التالي لم يكن إقامة الشعائر الحسينيّة من أوليّات العامّة، بل إنّ مجرد التفكير بإقامتها يعتبر نوع من المخاطر الكبيرة. فقد رافق هذه الأحداث الخطرة سياسات غاية في الأهميّة مثل الخطف للشخصيات النشطة في دائرة الاهتمام بالشعائر الحسينيّة، إغلاق الصحف والمجلات التي كانت تساعد في تهيئة الأمور لإقامة الشعائر الحسينيّة، ومطاردة المحررين والعاملين في هذا المجلات والنشرات الورقية. بعد السديم المظلم الذي تجسد بالرعب الذي عاشه العراقيون في هذه الفترة اندفعت الاقدار دفعة واحدة لتزيد مأساة المنكوبين والمطاردين همّاً آخر، حيث اندلعت شرارة الحرب بين العراق وإيران، مما وفّر فرصة استثنائية في ممارسة حلقات الرعب والموت بكل حرّيّة، حيث ان المبررات أصبحت مقبولة، ولم يكن المجتمع الدولي يعبأ بالمصائب التي واجهها العراقيون العزل من النظام الذي لم يترك طريقة تعذيب على وجه الأرض إلّا وتمّ تنفيذها على المواطنين العزل والمساكين الذين باغتتهم الظروف بمجيء الحكم البعثي بهذه السرعة وبهذه الآلية في فرض هيبة الدولة .استطاع البعثيون تغييب الشباب والحماس الذي قد يوقد جذوة الرغبة في إقامة الشعائر الحسينيّة في مناسباتها من خلال زجّهم في الحرب ومطاردة من لم يلتحق، بحيث صار الاحتفال بطقس عاشورائي نوع من الترف الذي دونه الحياة التي أصبحت لا تطاق قدمت الحرب فرصة ذهبية للحزب في سيطرته على الشعب العراقي وعزله تماماً عن الخارج، حيث منع السفر عن الشباب في سن الالتحاق بالجيش، والأهمّ هو فرض الحكومة سيطرتها الكاملة على وسائل الإعلام من إذاعات ومجلات وجرائد وكل ما يمكن أن يكون مصدراً للخبر والفكر

٢: الاثار السياسية لانتفاضة شعبان ١٩٩١

كان للحرب العراقية الإيرانية أثر اجتماعي خطير ترك بصماته الواضحة على الواقع العراقي ولا يمكن للباحث أن يستطيع حصر تلك الآثار أو تتبعها؛ لان ذلك يتطلب فصولاً مطولة ووقتاً طويلاً حتّى يمكن الوقوف على نتائجها وآثارها، لكنّها خلفت من الخسائر بالأرواح بمئات الآلاف ومثلهم مصابون ومعوقون، وعشرات الآلاف من الأسرى عاد بعضهم إلى العراق وبعضهم بقي في إيران لذلك كان صوت الشعائر الحسينيّة في هذه الفترة ضعيفاً جداً، إذ لا يجرؤ أحد على إقامة أي شعيرة مهمّا كانت، إلّا في البيوت الخاصّة وبيوت العلماء الذين يختصون بأناس يعرفونهم معرفة جيدة ليتم إقامة شعائر بسيطة لا تخرج عن كونها صور مكررة من الماضي عندما كان بنو العباس يمنعون إقامة أي شيء يخص الحسين (ع)كما إن المدن الشيعية شهدت هجرات سكانية مختلفة بسبب سياسات النظام مما ولد تغييرات وآثاراً مختلفة وكبيرة في الحياة الاجتماعيّة وعلى الشعائر الحسينيّة أيضاً، فأغلب الطبقات التي هاجرت هي طبقات فقيرة تنقاد بقوّة إلى الشعائر الحسينيّة رغم المخاطر والخوف، ولكنّها كانت بحاجة إلى قيادات قويّة توجههااحكمت سلطة الدولة على جميع أنماط التدين والسلوك الديني للأفراد والجماعات بحيث أصبح الإنسان تعدّ أنفاسه وهو في غرفة نومه، فكان مجرد التفكير بممارسة أي طقس حسيني أو شعيرة دينية لها علاقة بتضحية ومأساة الحسين (ع) تعتبر مغامرة لا عودة منها إلّا نادراً، وبلغ الأمر أن تمّ منع إقامة أي شيء تماماً حتّى صلاة الجمعة؛ لان الحكومة كانت تخشى من حالة الإخلال بتوازن الحرب مع إيران لقوة الفاعلية الروحيّة والاجتماعيّة للشعائر الحسينيّة. أبقت الدولة على بعض مظاهر الممارسات الحسينيّة مثل قراءة مقتل الحسين (ع) في الإذاعة العراقية، أو اعتبار اليوم الأوّل من محرّم عطلة رسمية في العراق، أو ظهور رجال دين مشهورين في إلقاء خطب دينية بيضاء خالية من أي موقف تجاه الظلم الذي كان يشهده العراق ضد الشيعة خاصّة، رغم أنّ حصة الكرد كانت كبيرة جداً، وحتّى المناطق التي كانت تتدين بالمذاهب السنية لم تسلم من الظلم، ولكنّ الثقل الأكبر كان ضد الشيعة كانت آثار الدمار وصور الجثث، والجنود الذين قضوا في الصحراء عطشاً لم تكن الانتفاضة التي حدثت في العراق عام ١٩٩١

مجرد حدثاً بسيطاً يتكرر في العراق، إنّما كانت انفجار شعبي عارم تحت وطأة الظلم الذي يواجهه العراقيون تحت نظام جائر، كانت حرب الخليج الثانية هي الثغرة التي خرج منها الصوت الوطني وأسهمت الحرب في زيادة مشاكل العراق دولياً ومحلياً.في المجال الدولي كان لقرارات مجلس الأمن الدولي أثراً بالغاً على السياسيّة الخارجيّة للعراق بعد رفض العراق لكلّ دعوات الانسحاب من الكويت كان احتلال الكويت فخّاً محكماً لتدمير الدولة العراقية وبأموال عربية، فقد كانت أغلب الأطراف الدولية والإقليمية تخشى من عراق يملك جيشاً كبيراً جيد التسليح ودولة على أبواب زيادات مذهله في الدخل القومي والناتج المحلي الإجمالي، حيث رافق مراحل الخروج من الحرب العراقية الإيرانية الكثير من الوعود والخطط ولكنّها كانت تقف على عتبة القلم الرئاسي الذي كانت له أجندات خاصّة تختلف عن طموحات الشعب المسكين في يوم ١٩٩١/٠٢/٢٨ أصدر النظام العراقي أمراً مفاجئاً بالانسحاب من الكويت، وكان لهذا القرار آثاراً كارثية على القطعات التي كان أغلبها غير قادر على الاتصال بإدارة الحركات الرئيسية، وذلك لوجود أجهزة تشويش دقيقة كانت تراقب انطلاق الإشارات الالكترونية ليتم قصفها تحوّل الانسحاب إلى واحد من أكثر الفضائح العسكرية في التاريخ، حيث ترك الانسحاب الجيش العراقي عرضة لقصف مكثف من الطائرات الحديثة والصواريخ المدمرة مما أدى إلى تدمير البنية العسكرية من أسلحة وخطوط امداد ومراكز سيطرة ونظم اتصالات وأنظمه عسكرية وكلّ شيء، وتسبب في مقتل مئات الألاف من الجيش العراقي حيث تركت الجثث في الصحراء والطرق السريعة من دون أدنى اعتبار عسكري وإنساني والهزيمة المنكرة للجيش العراقي، والضغط الإعلامي لدول الحلفاء من خلال الإذاعات قد ولدت نقمه غير مسبوقة لدى الجنود والمدنيين في أنحاء العراق، ولكنّها كانت في البصرة أكثر وقعاً لقربها من الحدث المأساوي وبدأت أوّل ملامح الحراك الشعبي عندما قام أحد الجنود برشق صوره جدارية لرئيس النظام السابق صدام حسين . في أحد كراجات البصرة المكتظة بالجنود المنسحبين من الكويت . بالرصاص، وقد فتح هذا الحدث البسيط الآفاق لأفعال أُخرى بنفس المكان مما ولد جرأة غير مسبوقة كانت كسريان الحياة في جسد متكلس منذ أكثر من ٣٥ سنة، فبدأت مظاهر الغليان في المدن الجنوبية. كان أكثر الخبراء متفقين على أنّ عودة الجيش المهزوم من الكويت حتما سيقوم بانقلاب على السلطة؛ ولذلك كان المجتمع الدولي يراقب وضع العراق ويتابع أدق التفاصيل خاصّة بعد أن قامت الطائرات الحربية لأكثر من ٣٤ دولة بتدمير كلّ شيء في العراق، من مصانع وجسور ومحطات طاقة وأي مَعلم حضاري لم يسلم من القصف وأعادوا العراق إلى عصر ما قبل الصناعة.حيث أدت هذه الظروف إلى ظهور انتقادات علنية لرئيس النظام ورموزه بشكل غير مسبوق، وانفراط العقيدة العسكرية والضبط العسكري لجميع الوحدات العسكرية ما عدا الحرس الجمهوري والحرس الخاصّ، وكذلك انكسار هيبة الأجهزة الأمنية وجهاز الحزب الذي كان يشكل هاجساً مرعباً لكل إنسان في العراق في هذه الظروف ورغم خطورتها عادت بعض الطقوس والشعائر بشكل ارتجالي وغير منظم من خلال إقامة بعض المشايخ للمجالس الحسينيّة ورفع الرايات التي تدل على مأساة كربلاء، ولم يكن متاحاً في هذه الظروف الصعبة أن يتمّ تنظيم أيّ شعيرة تتطلب استعدادات مساحه زمنية واخبار للناس أو على الأقل كان المزاج الشعبي المضطرب الذي يدور بين الخوف من عودة النظام إلى السيطرة على المدن وبين الفرحة بالخلاص منه كانت لا تستطيع إقامة الشعائر الحسينيّة بالشكل المطلوب كانت هذه الظروف بمجملها قد خلقت فرصة استثنائية لانطلاق الانتفاضة الشعبية ضد النظام بعد أن حصلت على مساعدة من الدول المجاورة سواء في التخطيط والتنظيم ومسارات لوجستية عديدة كان الهمّ الأساسي لهذه الحركة هي إعادة الشعائر الحسينيّة إلى وضعها، أي: ما قبل ١٩٦٨، وإعادة المساحة الحرة التي كان يتمتع بها قادة الشيعة في التوجيه والتعليم والتثقيف إلى سابق عهدها، تزامنت الانتفاضة مع بعض الأحداث المهمة في النجف أوّلها التشييع الكبير الذي إقامة أهل النجف وبمشاركة أعداد غفيرة في تشييع جنازة السيّد يوسف الحكيم والذي كان يعتبر مرجعاً دينياً كبيراً، وبسبب الأجواء المشحونة أخذ المشيعون يتجمعون بشكل غير عادي حتّى وصل عددهم لرقم أفزع الأجهزة الأمنية، وكان مرورهم في الأسواق ينذر بحدث خطير يربك الحالة الأمنية القلقة اخذت الأجهزة الأمنية بمعالجة الموقف باعتقال عدد من المشيعين، وضرب مجاميع أُخرى، ومضايقة الناس بشتى الأساليب، هنا تدخل السيّد الخوئي فأطلق سراح المشيعين، تحت وطأة الحالة الأمنية المربكة، كما رافقت هذه الأحداث موعد الزيارة الشعبانية والتي تشهد توافد الزائرين من كافة أرجاء العراق لزيارة ضريح الإمام الحسين (ع) واخيه العباس (ع)، وصادف يومها أن جاء الإمام الخوئي لأداء الزيارة، وعندما شاهده الزائرين اخذو بالهتاف باسمه، مرددين بعض الشعارات ذات الترميز السياسي مثل «كل الشعب وياك يا سيّد الخوئي» أو «أبد والله ما ننسى حسينا» والتي أدت إلى حدوث موجة

من الغليان والاضطراب في محيط المنطقة وداخل الصحن الحيدري. فقامت الأجهزة الأمنية باعتقال عدد من الزائرين والقائمين بأعمال الاحتجاج وشهدت مدن أُخرى في جنوب العراق اضطرابات مماثلة، مثل الديوانية إذ قام عدد من أهالي المدنية بالاحتجاج على رفض صدام حسين الانسحاب من الكويت، وقد تم اعتراض هذه الاحتجاجات بالرصاص والخطف والقتل بوحشية لامتناهية، فيما قام المحتجون أيضاً بقتل عدد من مسؤولي حزب البعث في الديوانية، . تسارعت الأحداث بعد ذلك بعد قرار وقف النار من قبل الحلفاء، وبعد أن مُني النظام بخسارة كبيرة جداً، منحت هذه الظروف الشعب العراقي بشكل عام الجرأة على لوم النظام وتحميله مسؤولية الحال البائس الذي وصل إليها الشعب، وكان ردّ فعل الشعب عنيفاً فانقض على المقرات الحزبية، ومخازن السلاح، وأخذ البعض يبحث عن مسؤولي البعث، أولئك المسؤولين عن تنفيذ أحكام الإعدام بحق الأبرياء بتهم كيدية. وكانت البصرة هي الشرارة الأولى للإعصار الذي أحرق أقدام النظام في الجنوب العراقي. انتشرت الأخبار بسرعة بعد قيام الأهالي بمهاجمة المراكز الحزبية، وقيام عدد من عناصر فيلق بدر والأحزاب التي كانت تحتضنها إيران بمهاجمة مديريات الأمن ومقرات الأجهزة الأمنية والحزبية بالإضافة إلى ذلك قام عدد من الثوار بمهاجمة مقرات الجيش الشعبي، ومباني المديريات ومراكز الشرطة سواء في البصرة أو المدن الأخرى. كما قامت عناصر مجهولة الهوية وربما تكون من جهاز الاستخبارات الإيراني بالبحث عن أسماء بعينها كأسماء الطيارين والقادة العسكريين العراقيين وخاصّة أولئك الذين كان لهم دور مهمّ في الحرب العراقية الإيرانية. دخلت بعد ذلك جماعات وتشكيلات إسلامية من جهة إيران، وبشكل علني بعد ان فقدت السلطة المركزية مراكز القيادة والسيطرة في الجنوب العراقي، ورغم إنّ ظاهر هذه الحركات كان فردية أو مجموعات صغيرة إلّا إنّ التقارير والبحوث التي أجرتها العديد من مراكز الدراسات الإقليمية اثبتت أنّها منظمة بشكل جيد، وكان قد تمّ إعدادها بشكل جيد لتولى الأمور بعد أن تدبّ الفوضى في العراق، وكان لها ذلك.

بدأ المدنيون وشباب المدن من التهيؤ لمرحلة التمرد الكامل وضرب مراكز تواجد السلطة المركزية، فتم إطلاق سراح آلاف السجناء المحتجزين فعمّت الفوضى ودخل العراق مرحلة لم تنتهي إلّا باحتلال العراق في عام ٢٠٠٣. وكان النظام بعد أن استرد السلطة في المدن قد دشنّ لمرحلة جديدة من الإعدامات والخطف والإخفاء القسري والتصفية الجسدية وكانت مراسم العزاء من الأمور التي يصعب ممارستها. لقد كان للانتفاضة الشعبانية أثر كبير في وضع الناس حتّى البسطاء منهم في خانة الاتهام والملاحقة من قبل الأجهزة الأمنية، وكأن النظام كان ينتقم من الشعب العراقي لرفضه الظلم ولانتفاضته على طول الفترة الواقعة بين ١٩٩١ و٢٠٠٣، حيث لم يكن هناك فرصة للحياة وإن يعيش العراقيين مثل الشعوب الأُخرى، ولم يكن هناك أمل بأي مستقبل لأي مواطن ما عدا كوادر النظام في الدولة العراقية، وكان التضخم يقضي على مدخرات الناس، والذي لا يكفي لسد الرمق وسط نقص هائل في المواد الغذائية. وأزداد وضع العراق سوءاً، وأصبحت السنوات تمرُّ على العراقيين والنظام يزداد قوّة ويحكم قبضته الاستخبارية على الناس وبدأ يبني القصور والمنتجعات على وقع آلام الناس ودموع الفقراء.

بدأ الحزب الحاكم بعد ١٩٩١ بممارسة استراتيجيات غاية في الدهاء فقد قام بالتقرب من التيارات الدينيّة وشنّ حملة واسعة ضد النوادي الليلية والخمور، وبدأ ما يسمى بـ(الحملة الإيمانية)، «وقد منح جماعة الإخوان المسلمين حرّيّة أكبر لممارسة نشاطاتها في العراق، وفي نفس الوقت قد أدخل شخصيّات دينيّة قد زرعها النظام في فترات سابقة في المنظومة السياسيّة على أساس إنّها تمثّل التيارات الشيعية ليظهر النظام وكأنه يحترم الحريّات الدينيّة والمذهبيّة كان الشعب العراقي في حالة غليان وإفراز لمشاعر الكراهية غير المسبوقة لرئيس دولة يمسي ويصبح على أنين المظلومين، فكان الشعب يتوق إلى الخلاص منه، وكانت النجف تتوق إلى اللحظة الذي تمارس فيه طقوسها الحسينيّة بحرّيّة حيث كانت من أصعب السنين التي تمرّ من دون يتم إقامة مراسم عزاء الحسين (ع) بالشكل الذي تعوّده الشيعة عبر أكثر من عشر قرون. في هذه الفترة وبعد الهروب الجماعي للقيادات الدينيّة والسياسيّة العراقية من العراق تكوّنت في أوربا وأستراليا وأمريكا جماعات معارضة كانت قد بدأت أوّل ما بدأت بممارسة بعض الشعائر الحسينيّة البسيطة المسموح بها في هذه البلدان.

إنّ التحليل النقدي لأكثر الآراء موضوعية وتفاؤلاً في كوادر حزب البعث تجاه الشعائر الحسينيّة نجد إنّهم يذهبون إلى إنّ واقعة كربلاء واقعة تاريخية وإنّها تأتي وفق قراءات عديدة انطلاقا من قواعد دينيّة ومذهبيّة وإنسانيّة والتي تراوحت بين التهويل والمبالغة والتضخيم وإدخالها الإنسان إلى عوالم خارج حدود المشاهدة العبادية، وبين القراءة الواقعية للمأساة والاستفادة من الدروس الإيجابية ومضمونها الأخلاقي. ورغم أنّ مفكريهم يرون الأمر بهذه الصورة إلّا أنّ الأدوات التنفيذية ترى الأمر غاية في الرمزية والقداسة وأن الشعائر الحسينيّة هي مجرد طقوس

وثنيّة ورجعيّة تعود بالإنسان إلى عبادة النّار والقمر، وان التمسك بتراث الأموات وعبادتهم ما هو إلّا انخذال إرادي أمام تحديات الواقع وهروب من المسؤولية التاريخية في صناعة الحاضر والمستقبل؛ ولذلك يجب وقف هذه الشعائر بكل قوّة. وهذا التحليل (برأينا) يكشف أولا تناقض الفكر البعثي بنيوياً، وتناقض قياداته بين التنظير والتنفيذ، كما يكشف إنّ الفكر البعثي ينظر للأمور نظرة طوباوية بعيدة عن الواقع تماماً.ورغم اننا ندرك أن الحسين (ع) ليس تابعاً لمذهب أو أتجاه فكري محدد فهو رجل مسلم ضحى لأجل العقيدة التي كان يراها تصلح للناس، بل إنّ ما قام به الحسين يتجسد في العاطفة الإنسانية العابرة للأديان والمذاهب فهو يمثل ضمير الإنسان الكلّي. يقول أدوارد دابروان: «وهل ثمّة قلب لا يغشاه الحزن حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتّى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها

ومن خلال بحثنا توصلنا الى نتائج اهمها النتائج

١-إنّ مراسم العزاء الحسيني لها وظائف أُخرى غير وظيفتها العبادية العقائدية، وهي وظائف مكمّلة للوظيفة الأُولى بل متسقة معها، وهي وظيفة التأثير في الجانب السياسي وكما هي تؤثر، فإنّها تتأثر بالظروف السياسيّة بشكل واضح، وتتحدّد آثارها وتتسع تبعاً لهذه الظروف .

٢-اثبتت الدراسة إنّ التسلط والقسوة، والقيود الظالمة والجائرة التي تفرضها السلطات على المراسم، قد لا تحدّ من الآثار السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لمراسم العزاء الحسيني، بل على العكس تماماً، قد تعمّق آثارها، وبما لا ترغب به هذه السلطات .

٣- اثبت البحث إنّ مراسم العزاء الحسيني، عندما تنال قسطاً من الحرّية، وتكون محميّة اجتماعيّاً وسياسيّاً، فإنّ آثارها السياسيّة تتسع وتمتد بشكل كبير جدّاً، وتتجذر ويكون تاثيرها على المجتمع بشكل مباشر وتكون واضحة المعالم